

ثقافة التغيير وتغير الثقافة

بقلم : جمال الشراي

جاء في لسان العرب لابن منظور في تفسيره لفعل غير ما يلي: غيره حوَّله وبدله كأن جعله غير ما كان. وفي التنزيل العزيز: "ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها ... على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". والمغير هو الذي يغيّر على بعيره آداته ليخفف عنه ويريجّه، يقال غير فلان عن بعيره إذ حطّ عنه رحله وأصلح من شأنه (1)

ولعلّ ما جعلني أستحضر شرح ابن منظور هو توافقه التام مع المضمون الواسع للتغيير هذا الذي جاء ليحط عن البلاد وعن العباد رحلاً وعبثاً ثقلين ويصلح من شأن كاد يفسده وضع سياسي صعب ليحنب هذا البلد الطيب والأمين مسّة بلا غامضا ومجهول العواقب وليضع له من جديد مساراً واضح الملامح وجليّ النهج وليؤسس عبر المصالحة الوطنية ثقافة جديدة هي ثقافة التسامح والوفاق والإتفاق على حب تونس والاجتماع على خدمتها والذود عنها.

تلك هي ثقافة التغيير أو قل جزئية صغيرة من مطامعها الكبيرة التي طالت كلّ المجالات بما فيها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية حيث لم تغفل سياسة التغيير بحالاً لم تسع إلى العمل على الإقلاع به وأعطائه ما يحتاج من إصلاح ومن اهتمام.

والثقافة واحد من المجالات الذي كانت محل اهتمام سياسة التغيير

وأحد رهاناتها.. لقد راهنت منذ التحول على تغيير واجهة الوضع الثقافي بل وعلى تغييره من العمق وذلك بوضع سياسة بنيت على قناعة راسخة لدى مهندس التغيير قوامها أن لا تغيير بلا تغيير في العقول وفي النفوس... "حتى يغيروا ما بأنفسهم" لا يمكن لأي تغيير في أي مجال كان أن يتم دون أن يكون مشفوعا ومسبقا بتغيير في العقول وفي النفوس.. فالتغيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي هو بالأساس تغيير في العقول وفي النفوس أي في الوعي الجماعي لدى الأفراد أي في ثقافتهم وفي حسهم الجماعي المشترك بمعنى في مدى انسجامهم المدني. فالإنسان هذا الكائن الاجتماعي ليس بمستطاعه أن يوجد خارج دائرة المدى الثقافي، المؤسس على الحاجة للآخر بالتالي على ضرورة وجوده في وعينا الذاتي وهو ما يستوجب نكران الذات وإلغاء الأنوية المتسلطة الانفرادية .

إن ثقافة الجماعة هي الثقافة التي يجب أن تسود المجتمع حتى تتراس صفوفه ويرتفع بنيانه وهي ثقافة لم تكن سائدة في حقبة ما من تاريخ البلاد لكنها استعادت الآن نفوذها لتستعيد البلاد سيادة سلطتها ويسودها الأمن ويستتب بها ليقترحم جميع المجالات بما في ذلك الثقافي . فالتغيير إذن ثقافة والثقافة تغيير وتغير دأمان لذلك كانت أهم برامج الإصلاح موجهة نحو الإصلاح الثقافي...

لقد وصلت الثقافة بعناية خاصة ، عناية تجسدت في قرارات رائدة وحكيمة جعلت من المثقف شريكا فاعلا في التغيير ومن المبدع أميرا مبحلا وحديرا بكل تقدير.

لن نتحدث عن هذه القرارات لأننا لن نحصيها لأنها شملت أهم ما

يحتاجه المبدع والمثقف من الإحاطة الاجتماعية والتأمينات الاقتصادية ومراعاة الاحتياجات الخاصة التي يحتاجها الإنتاج الثقافي وآخرها "إجازة مبدع" بعد أن كان المبدع في إجازة دائمة من الركود وعدم القدرة على الإنتاج لانعدام الظروف وعدم ملائمتها وهي ظروف غيرها الآن فما الذي يبرّر ضعف مردوده وتواضع الإنتاج.

إن الشوط الآن شوط المبدعين والمثقفين وهو فرصتهم لتدارك ما فات وللتأكيد على أن الذي كان كان خارج إرادتهم وأنهم جديرون بما أوتوا من حظٍّ ومن درجات لأنهم فعلاً شريك فاعل بالقول وبالعمل وأن الثقافة تغيّر وتغير مستمرّان.

هذه إذن كلمة الإتحاف لهذا العدد وهي كلمة فعلت منها ما قالت وهي عازمة على تأكيد ما قالت ولم تفعل لأنها بعثت أساساً من أجل القول والفعل والقول.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هامش:

* 1- لسان العرب الجزء الرابع الصفحة 76 - دار صادر

في علاقة النقد بالإبداع

بقلم : أبو زيان السّعدي

إنّ الذين يشتغلون بالنقد، قارئين ومحلّلين ومفسّرين ومقوّمين، يجدون أنفسهم في كثير من الأحيان ، عرضة لردود أفعال مختلفة أهونها الصّمت الذي يخفي انفعالات عدائيّة، تلاحظها في الحركة والسلوك، وفي العيون تصوّب نظراتها لتكسر البراءة وتعلن التحدي، أجزاؤه، وإذ هو الوعيد بالشرّ والوقعة والمحاسبة، يتحجّن الفرصة عند الاقتضاء، ذلك أنّ صاحب الأثر الأدبي المنقود، إمّا أن يجد ناقده قد رفع من شأن أثره، واكتشف فيه من الأبعاد ما يصنّفه في دائرة الأعمال الأدبيّة المتميّزة، وفي هذه الحالة ينبغي على الناقد أن يظل حريصاً على موقفه ذاك، وأن لا يتجاوزّه إلى نقيضه حين يستقبل له أثراً آخر جديداً. وإمّا أن يجده قد تعامل مع الأثر تعاملًا طغت عليه السلبيات، وتعدّدت فيه الهنات من هنا وهناك، حتّى أضحي لدى قرّائه كأنّه كتب على عجل أو أنّ صاحبه لم يوت الموهبة الخالقة، المتحكّمة بالأساس في كلّ عمل أدبي صحيح، وفي هذه الحالة فليأذن الناقد بحرب لا تنتهي أبداً.

وأنا لا أكتب هذا الكلام متخيلاً أو مفترضاً، وإنّما أكتبه من موقع التجربة والملاسة، إذ كم هي الحالات الكثيرة التي تعدّد فيها

الخصام إلى حدّ القطيعة النهائية، بيني وبين أصدقاء وأصحاب وزملاء، لا لشيء شخصي على الإطلاق، وإنما لمجرّد الكتابة بما يرضي هذا، ولم يرق لذاك، ولم يعجب ذلك الذي صوّر له الوهم والغرور أنّه فوق النّقد وفوق الرّأي المخالف، وأنّ أعماله الأدبيّة تفتح في مسالك الأدب نهجاً جديداً لم يسبقه إليه أحد من معاصريه. نعم إنّ العلاقة بين النّاقد والكاتب والشّاعر، هي علاقة من نوع خاص يحكمها الحذر والاحتراس، كذا كانت منذ القلم عند العرب وغير العرب، بلغت في بعض الأحيان حدّ التّقي المتبادل، أو فلنقل حدّ قول بعض الأدباء بأنّ النّاقد شاعر فاشل، أو مبدع لم تكتمل لديه موهبة الإبداع، ولكننا نرى هذه العلاقة قد أصبحت في بعض البيئات الأدبيّة العربيّة، ومن بينها بيتنا التّونسيّة، متوتّرة تترقّب الاختصاص في كلّ حي، والاسترابة من دوافع الكتابة التّقديّة وما تهدف إليه من مرام ليست موضوعيّة أو نزيهة في أغلب الحالات. وأنا لا أحبّ الوقوف طويلاً أو قصيراً لتعليل هذه الظّاهرة الغريبة في تونس وفي البلاد العربيّة الأخرى، وإنما أريد أن أقول إنّ التّقد الأدبي وإن لم يصبح علماً كسائر العلوم الإنسانيّة الأخرى. بعض المنظرين الجدد يصرون على أنّه علم وإن تعدّدت له مناهج- إلا أنّه صار ضرباً من ضروب الإبداع، بما لا يكاد يختلف عن فنون الشّعر والقصة والرّواية، وبخاصّة بعد أن أصبحت القراءة شريكاً

مؤثراً وأساسياً في تصوّر العمل الأدبي حتّى بالتسببة للمؤلف نفسه، وبما أنّ القارئ يملك حقّ فهم العمل الأدبي وتفسيره والإضافة إليه إن لزم الأمر، فإنّ الناقد وهو قارئ من نوع خاص بما أوتي من علم ومعرفة وإطلاع واسع على الكثير من النصوص الأدبية المتنوعة، وما خضعت له من قوانين البناء والصياغة، يملك بدرجة أقوى حقّ مقارنة العمل الأدبي بما يفسّره ويحلّله ويفكّكه ويركّبه أيضاً، وبما يقوم به ويصنّفه ضمن الأعمال الأدبية الأخرى، وهو بذلك يقدم خدمة لا غنى عنها لقراء غير متخصصين في الغالب، بما يفتح أمامهم من أبواب التأويل الذي به يأخذون، ويسهّل لهم مهمّة التعايش مع نصوص كم أحبّوا الوصول إلى كنه رموزها، وكم تاقوا إلى معرفة خفايا دلالاتها وإيقاعاتها وهواجسها في النفس والمجتمع والحياة، فالتنقد بهذا الاعتبار لا أقول إنّهُ قول على قول كما يقول بعض القدماء، ويردّده العديد من معاصرينا، لأنّه يشير من طرف خفيّ إلى طروء وتابعة بمعنى من المعاني، وإنّما أقول إنّهُ فنّ مستقلّ بنفسه استقلال الفنون الأدبية، وإنّ توشّحت بينها الصّلات والعلائق كما يعرف المطلعون على فلسفات علم الجمال، ورسائله بالأساس تعميق الوعي بالقيم الجماليّة في النصوص المدروسة، وتركيز الأذواق بما يلائمها من روائع النصوص المتخيّرة بالدلالة على ما فيها من أساليب مبتكرة وإيقاع لمّا ح بصيرورة الرّؤيا من خفايا النفس

البعيدة إلى الوجود في تعينه ومهائه.

وهو باعتبار آخر تنمية للمعرفة حتى تنتشر بين المهتمين بالأدب، ودرس نموذجي لتطور جنس أدبي من عصر إلى عصر ومن بيئة إلى أخرى، بل من شخص أو أشخاص إلى هذا الذي استقر عليه الحظ ليكون موضوعاً للدراسة النقدية.

وفي تصوّري أنّ أيّ حركة أدبية تخلو من النقد لا بدّ أن تنتهي إلى ما ينتهي إليه كلّ عمل إنساني آخر فقد المراجعة وإعمال النظر في الوسائل والغايات. ولعلّ ضياع كثير من الأصوات الأدبية المهمة في بعض الفترات من تاريخنا الأدبي إنّما تجدد تفسيرها الصحيح فيما نسميه تقصير النقد، لهذا السبب أو ذاك، عن الإيفاء بدوره في تناول التجارب الأدبية، وتصنيفها وترتيبها حسب أولوياتها، ودعوة القراء إلى عدم الاغترار بالزيف والبهرج في كثير من التصوص التي ذاعت لها شهرة، لأنّ جوهر الفنّ الأدبي شعراً كان أو نثراً هو أبعد من ذلك وأسمى، لصدوره صدور القوة والصدق، وهما أمران لا يحتاجان إلى تعملّ وافتعال وترصيع، ممّا يعمد إليه من فقد الإحساس بطبائع الذوق وشفافيتها حيال اللبّ والقشور في صياغة الأعمال الأدبية.

ولكنّا مع ذلك نجد العديدين ممّن يزاولون الكتابة الأدبية في بلادنا وفي بلاد عربية أخرى، يعلنون بالليل والنهار في الصحف

السيارة وغير السيارة، أنهم اختطّوا طريقا لا يتراجعون عنه، وأنهم منذ الآن أصبحوا لا يعثون بما يقال عنهم نقداً منهجياً أو غير منهجي، لأنهم بلغوا مثلة من الرفعة والسمو ما لا تدانيه منازل السائرين الآخرين من الكتاب والشعراء والمحرّين، واللافت للنظر حقاً أنهم لا يتردّدون في التناول على من سبقهم من الشعراء والكتاب، وقد صنّفهم التاريخ التقدي والأدبي على أنهم علامات مضيئة في الأدب التونسي وفي الأدب العربي بعامة، فهذا يصرّح بأن صديقه الشاعر الشاب أروع من أبي القاسم الشابي الذي كاد ينعقد عليه الإجماع الأدبي والتقدي بأنه أحد رموز التجديد الشعري في الأدب العربي الحديث، وذلك يزري بحبيب بن أوس الطائي، بأن صديقه وزميله ذاك الشاعر الشاب أيضاً، قد أتى في أشعاره الجديدة بما لم يأت أبو تمام، رغم ما كتب عنه قديماً وحديثاً، وقيل بشأنه ما أصبح تراثاً يرجع إليه الباحثون والدارسون، ليرسموا ملامح حركة تجديدية شعرية كبرى عرفت لها العربية في عهودها الأولى، وما زال لها ذكر

و تأثير إلى اليوم، وليقارنوا بينه وبين كبار الشعراء كالبحتري والمنتبي وأبي العلاء، فهل هو تضخم الأنا عند أبناء هذا الجيل الجديد من الشعراء والكتاب، أو هي المصاولة التي تبتغي فتح كوة في سقف الجدار نحو نور السماء الأرحب؟، سيان الأمر عندي لأن

القضية ليست أن نلغي الآخرين أو نزري بهم لنحتلّ مكانهم ونستأثر باهتمام السّاحة الثقافيّة، وإنّما البحث الموضوعي لمعرفة قدرات الذات على نحو ينصفها وينصف الآخرين أيضاً، ثمّ إنّ التّواضع شيء حسن يؤثّر إيجاباً أكثر منه سلّياً، ومن قدّم قالوا دع أعمالك تتحدّث عن نفسها أو قل كلمتك وامش، كما قال أمين الرّيحاني، أو كما عبّر نسيب عريضة يخاطب نفسه، وإن في اتّجاه آخر:

وجدّي ولا تسألني عن مصري

بعيشي

ألا أمشي وبعد الجهاد الحقيقي

ARCHIVE

سنسبق آمالنا في الطّريق

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ونجني الأشعة قبل الشّروق

ألا أمشي.

وقد ينبغي أن استطرد في هذا المقام لأذكر طرفاً ممّا كان يقع بين الشعراء المتنافسين في أدبنا العربي القديم، ممّا له علاقة بموضوعنا، فقد ذكر أبو الفرج الأصبهاني في أغانيه أنّ "البحثري من أبغض النّاس إنشادا، يتشادق ويتزاور في مشيه مرّة جانباً ومرّة القهقري، ويهزّ رأسه مرّة ومنكبيه أخرى، ويشير بكفه ويقف عند كلّ بيت ويقول: أحسنت والله، ثم يقبل على المستمعين فيقول: مالكم لا

تقولون أحسنت هذا والله ما لا يحسن أحد أن يقول مثله" (الأغاني، م: 18، ق: 1، مكتبة الحياة - دار الفكر بيروت 1956، ص: 402-403) حتى ضجر منه المتوكل الخليفة فأوعز إلى أحد الشعراء بمحوه شعرا على نفس روي القصيدة التي كان بها معجبا، فالبحتري من خلال هذا النصّ معجب بنفسه إلى درجة لا تطاق، ومع ذلك نجده حين يسأل عن شعره في مجال المقارنة بينه وبين أبي تمام يقول: "جيده خير من جيدي، وردئي خير من رديته" (نفس المصدر، ص: 391)، وذات مرة أنشد شعرا ف قيل له: "أنت والله أشعر من أبي تمام في هذا الشعر، قال: كلاً والله إن أبا تمام للرئيس والأستاذ، والله ما أكلت الخبز إلا به، فقال له الميرد: لله درك يا أبا الحسن فإنك تأبي إلا شرفا من جميع جواتبك" (نفس المصدر، ص: 392)، والبحتري هذا كما يعلم المثقفون المتأدّبون صاحب مدرسة شعرية كبرى هي مدرسة الطبع الحافظة لتقاليد القصيدة العربية التليدة، وهي في صراع قوي مع ما يذهب إليه أبو تمام في شعره من خروج على العمود الشعري، ولكن هذا شيء والتقدير التقدي شيء آخر، علما بأنّ للشاعرين أتباعا ومنظرين قارنوا بينهما في مؤلفات معروفة أمدا طويلا. فليت أصحابنا الشعراء في تونس وفي غيرها أن يفكروا طويلا في التفريق بين الذاتي والموضوعي، بين الإيمان بالنفس والاعتراف بما للآخرين من تفوّق وابتداع.

الفصل الخامس

أدب الرحلات العربي في العصر الحديث (4)

أصداء أدب الرحلات العربي في القرن التاسع عشر الميلادي في

الحياة العملية

وفي الفكر والأدب العربيين

أولا : أصداء أدب الرحلات العربي في العصر الحديث لدى ذوي السلطة

رأينا أن أدبيات ومضامين أدب الرحلات العربي في القرن التاسع عشر الميلادي، قد تناقلتها النصوص الموالية لصدور كتاب رفاة الطهطاوي الموسوم بـ "تخليص الأبريز في تلخيص باريز" الصادر عن مطبعة بولاق المصرية، أول مرة، سنة 1834م، فأصبح ذلك الأذبل يردّد أصداء قيم "الحرية" و"الوطنية" و"حب الوطن" و"التقدم" إلخ... وهذا الانتشار الأفقي لمضامين وأدبيات هذا التوجه الجديد، قد إكتمل بانتشار عمودي، أو رأسي، ذلك أن كل تيارات الفكر اللاحقة من محافظة إلى ليبرالية "قومية" وإلى غيرها من التيارات قد تبنت أدبيات ومضامين أدب الرحلات العربي للقرن التاسع عشر الميلادي، لا، بل إن رموزا من السلطة الرسمية قد أقبلت، على تبنيه عمليا، أيضا.

أولا، 1- أصداء دعوة أدب الرحلات تصل إلى ذوي القرار والسلطة

داخل الدولة العثمانية

إن أميرين، ووزيرا، على أقل تقدير قد أقبلوا على تبني أدب الرحلات

العربي للقرن التاسع عشر الميلادي من حيث مضامينه الجديدة، وأدبياته الحديثة، وتوجهاته التقدمية، وهما أمير مصري، وأمير مغربي (من المملكة المغربية)، ووزير تونسي... وإذا علمنا أن الأمير المصري سيلعب دور المستشار للخلافة العثمانية وأن الوزير التونسي سيصير صدرا أعظم (وزير أول، أو رئيس حكومة)، فهذا يدلّ على أن أدبيات أدب الرحلات العربي في القرن التاسع عشر الميلادي، ومضامينه قد ارتقت إلى مرتبة، همّ من هموم الخلافة العثمانية، وذلك بقطع النظر عن نصيب تلك الأدبيات من الإنجاز من عدمه، أو من الترك من عدمه...

أ- السلطان العثماني عبد العزيز والأمير المصري مصطفى فاضل باشا

إن الأمير المصري مصطفى فاضل باشا (1802م-1875م) الذي هو، ليس إلا حفيد، الوالي العثماني على مصر، محمد علي باشا، سابق الذكر، وهو من الذين قد استهوهم فكرة "الإصلاح" وقد ارتقت عندهم إلى مرتبة : العقيدة، ناهيك أنه قد دفع عنا باهضاً في سبيلها ولم يكن ذلك الثمن أقلّ من حياة التشردّ والته، وهو الذي كان بإمكانه الاستكانة إلى نعيم الاستقرار...

فبعد رحلة الحياة المتعبة التي ذاق خلالها ألوان الحزن، استقرّ به المقام في دار الخلافة، اسطنبول، ليؤدي المشورة إلى السلطان العثماني عبد العزيز، سابق الذكر حول أفضل السبل للتقدم الذي كان السلطان المذكور قد وجّه له قدراً من عنايته...

♦ الخليفة الإصلاحية للسلطان العثماني عبد العزيز

لقد مرّ بنا في الفصل الثاني من الكتاب⁽¹⁾ أن السلطان العثماني عبد العزيز قد عني بالإصلاح، وذلك بأن كان سافر إلى أوروبا التي عاد منها

سنة 1868م ويبدو أنه قد تقابل هناك مع الامبراطور الفرنسي نابليون الثالث (1808م-1873) وبعض الشخصيات الرسمية والثقافية هناك. وقد عاد ببرنامج إصلاحى يقوم على بعث المدارس الابتدائية، إلى جانب المدارس التقليدية⁽²⁾، وخاصة منها مكتب غلطة⁽²⁾ قالاتا سراي / GALATA SERAIL الذي يديره مدير فرنسي وهو يقدم أرقى البرامج باللغة الفرنسية وقد تخرج منه كثير من ساسة تركيا⁽²⁾ وهي مدرسة في منأى عن الفكرة الطائفية حيث أنّ الرحالة الأمريكية ماري ملز باتريك M-M.PATRIK⁽³⁾ قد قالت "حتى أنهم قد أطلقوا عليها اسم "جامعة بابل" نظرا لتعدد لغات الطلبة الدارسين به، من بلغاريين وأرمن، ويونانيين، وأتراك طبعاً"⁽⁴⁾ وكان عدد التلاميذ، في العام الأول من حياة المكتب 399 تلميذا، ليتضاعف في العام الثاني ويبلغ 620 تلميذا⁽⁴⁾. وهذا المعهد كان يؤهل التلامذة إلى الارتقاء إلى التعليم العالي، وقد بعث الجامعة التركية باسطنبول سنة 1900⁽⁴⁾.

وكان السلطان عبد العزيز، قد افتتح أول مدرسة عامة للفتيات في أوائل أيام حكمه⁽⁵⁾ وكانوا يسمونها "دار المعلمات"⁽⁶⁾، كما كان أسّس، مدرسة للفنون الجميلة⁽⁷⁾... وهو الذي أمضى اتفاقا مع شركة بلجيكية لمدي السكك الحديدية⁽⁸⁾ الخ....

ومن علامات رسوخ فكرة الإصلاح لديه، أنّه قد كان عمد إلى استفتاء ذوي الفكر الاصلاحى، من أمثال مصطفى فاضل باشا.

♦ تأثر نص مصطفى فاضل باشا بأديبات أدب الرحلات العربي للقرن 19 م

إن إنتماء مصطفى فاضل إلى عائلة الوالى المصري، محمد علي جدّه

للأب، قد أهله لتلقي العلوم على كبار الشيوخ والعلماء⁽⁹⁾ وقد هاجر إلى اسطنبول وبرع في المسائل المالية والجبائية حتى صار رئيسا للمجلس المالي وقد كانت الرسالة التي ألقها وبعث بها إلى السلطان العثماني تحمل عنوان "من أمير إلى سلطان"⁽¹⁰⁾...

والجدير بالملاحظة أن التكوين الذي تلقاه مصطفى فاضل باشا لم يكن تقليديا، فحسب، بدليل أنه قد أتقن اللغة الفرنسية الى حد أنه قد نشر مقالا بالجريدة الفرنسية، سنة 1887 كانت عبارة عن لائحة سياسية أو رسالة مفتوحة إلى السلطان⁽¹¹⁾...

وقد شخص مصطفى فاضل المرض العثماني بقوله: "الملوك والأمراء سكارى بخمرة الملك منصرفين عن الصواب بلذّة السلطان"⁽¹²⁾

ثم أخذ فاضل، يبيّن أنواع الأدواء، فهي "الحرية"⁽¹³⁾ و"الدستور"⁽¹⁴⁾ خاصة، وكنا رأينا أن الحرية قد شكلت وكنا رئيسيا في أدبيات الرحلة العربية للقرن التاسع عشر بداية من رائده الطهطاوي⁽¹⁵⁾ أما "الدستور" فقد كنا تعرضنا له كركن من أركان أدب الرحلات العربي الحديث وكان ذلك في باب "المجالس"⁽¹⁶⁾ عند الحديث عن "المشروطة"⁽¹⁷⁾ إلا أن مصطفى فاضل باشا، قد سجل تقدما نوعيا بالنسبة للطهطاوي، على المستوى المعجمي الجديد، إذ قد استعمل مصطلح "الدستور" لا مصطلح "الشُرطة" La Charte كما سبق بيانه.

وقد بيّن مصطفى فاضل بعض مزايا هذا الدستور، ومنها "المساواة بين المسلمين والنصارى في الحقوق والواجبات ليسود الوئام ويهبط على الكل السلام" و"إقامة حكومة قوية لا منفذ فيها لقول الأجنبي"⁽¹⁹⁾.

ب- السلطان العثماني عبد العزيز، والمتقف التونسي الشيخ محمد بيرم

الخامس

لقد كان الشيخ محمد بيرم الخامس سابق الذكر، ثاني اثنين يستفتيهما السلطان العثماني عبد العزيز وهو يختلف عن الأول في تكوينه الذي كان تقليديا وذلك باعتبار أن بيرم خريج جامع الزيتونة الأعظم، وقد سرت فيه فكرة الإصلاح والنهوض بأحوال البلاد، وقد أعرب عن ذلك حتى قيل أن يسافر إلى خارج تونس، وقبل أن ينخرط في أدب الرحلات بكتابه الشهير "صفوة الاعتبار"، سابق الذكر، إذ أنه قد طالب بتطبيق الإصلاحات الدستورية وإقامة المجالس التي جاء بها قانون عهد الأمان⁽²⁰⁾: التونسي، سابق الذكر، بل أنه قد عمر، مثل زميله أديب الرحلات محمد السنوسي سابق الذكر عن الضرورة لتنصيب مجالس شورى منتخبة لضمان العدالة والحرية السياسية في البلاد⁽²¹⁾.

وقد كانت رسالته للسلطان العثماني تحمل عنوان: "ملاحظات سياسية لاستدراك الأحوال الملمة بالسلطنة العثمانية" وكان ذلك سنة 1881 م⁽²²⁾، أي في خلال نفس العام الذي احتلت فيه فرنسا، مسقط رأسه، تونس.

♦ تأثر نص محمد بيرم الخامس بأدبيات أدب الرحلات العربي

للقرون 19 م

إذا كان كل من الطهطاوي ومصطفى فاضل باشا، يقدمان آمالا أو أحلاما وهما يقترحان "الشرطة" و"الدستور" فإن محمد بيرم الخامس الذي رأى المجالس تنتصب فعلا في تونس ثم ترال⁽²³⁾، كما سبق بيانه، كما رأى "مجلس المبعوثان" العثماني، حقيقة على أرض الواقع في عهد "المشروطية" كما سبق بيانه .. ولذلك فإن وعيه بالدستور وبالمجالس سيكون أقوى... ولذلك أيضا، فإنه في رسالته للسلطان العثماني يؤكد على ضرورة الإبقاء

على مجلس المبعوثان، وهو البرلمان العثماني ذي الصبغة الفدرالية الممثلة للولايات العثمانية، فيقول: "لزم بالضرورة المحافظة على ممالك الدولة وإجراء المطلوب جمع مجلس المبعوثان لكي يكون سنداً معتبراً في ممانعة كل ما يضرّ بمصلحة الدولة عموماً"⁽²⁴⁾ ... ، وأن يكون أعضاء هذا البرلمان أو مجلس المبعوثان منتخبيين، حيث قال: "تلزم إنشاء قانون في انتخاب أعضاء مجالس الولايات على نحو انتخاب المبعوثان"⁽²⁵⁾ وقد أناط بعهدة هذا المجلس الاصطلاح بوظيفة الشورى، حيث قال: "مجلس المبعوثان هو مرجع المشورة العامة للمملكة"⁽²⁶⁾ ولذلك فإنه يرى في أعضائه ضرورة أن يتحلوا بصفات معينة، ومنها: "الغيرة والصفات الباعثة على النصيح والإعانة على ارتقاء شأن الدولة والوطن"⁽²⁷⁾ ... وبذلك فإن خطة شيخ الاسلام في عاصمة الخلافة، ستدحرج من مرتبة التشريع إلى مرتبة الإجراء والتنفيذ⁽²⁸⁾ مثلما سبق قول ذلك،

وبهذا فإن أدب الرحلات قد أثر معجمياً على أقل تقدير في تغييرات التي طرأت على الحياة في عاصمة الخلافة العثمانية، فماذا عن الولايات العثمانية. أولاً، 2 - أصداء دعوة أدب الرحلات تصل إلى ذوي القرار والسلطة خارج الخلافة العثمانية

أ- السلطان المغربي عبد الرحمان بن عبد الله، والأمير المغربي عبد الرحمان ابن زيدان

لقد مرّت بنا الإشارة في أكثر موضع للأفكار الإصلاحية للسلطين المغاربة (المملكة المغربية)، وخاصة منهم السلطان عبد الرحمان.⁽²⁹⁾

وقد لاحظنا أنه، هو أيضاً قد عرض أفكاره الإصلاحية التي استقاها من الرحلة/التقرير الذي قام به السفير المغربي محمد الصقّار إلى أوروبا سنة

1845 م ثم عرضها على الفقهاء، فأدلوها برسائل في الشأن الإصلاحي وقد استندوا إلى أفكار الشيخ التسولي الذي كان أفنى بها للمجاهد الأمير عبد القادر الجزائري (1807 م - 1833 م) وهي ضرورة تعصير الجيش والقوة العسكرية في إطار فكره الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم، الذي حلّ بالجزائر.

إن هذه الحركة الإصلاحية قد تكون ساهمت في إنضاج الفكر الإصلاحي لدى الأمير المغربي عبد الرحمان ابن زيدان فالتقى بفكر ومضامين الحركة الإصلاحية الأولى : التي أتت مع أدب رحلات النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادي.

♦ تأثر نص عبد الرحمان بن زيدان بأدبيات أدب الرحلات العربي

للنصف الأول من القرن 19 م

إن عبد الرحمان بن زيدان (1878م -) ينحدر من الأسرة العلوية

الحاكمة وقد اكتفى في رحلاته بزيارة المشرق العربي بداية من سنة 1913 ومن لقاءاته الفكرية في الخارج نذكر اتصاله بالأمير شكيب أرسلان (1869م - 1946).

وقد وضع ابن زيدان، سنة 1932 تأليفا بعنوان "اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار مكناس"، وهو في خمسة أجزاء وقد ضمنه أفكارا قريبة من أدبيات ومضامين أدب الرحلات العربي للقرن التاسع عشر الميلادي ومنها خاصة:

- لم يعد السلطان مطلقا بل مقيدا بقيود موضوعية وقانونية
- تحقيق الحكم الدستوري
- تقييد الحكم السياسي

وهكذا فإن معجم أدب الرحلات العربي للقرن التاسع عشر الميلادي قد عمّ بجديده متون الأدب السياسي العربي والأدب غير السياسي كما أنه قد تواصل عبر أدب الرحلات وغير أدب الرحلات.

ثانيا : أصداء أدب الرحلات العربي في العصر الحديث لدى مختلف

التيارات العربية الاصلاحية

لست أدري، إن كان التعدد الذي طرأ على توجهات المثقفين العرب الذين حملوا قضية الاصلاح والنهضة أن كان رحمة أو نقمة... وسنحاول فيما يلي معرفة توجهات كل التيارات وهي التي بدت أحيانا كأنها "فرقاء" قد ناضلوا من أجل نفس القيم، وخاصة منه الاصلاح بتحليلاته المختلفة وفي تصنيفهما للحركة الفكرية العربية في عصر النهضة يذهب الأستاذان أبو عوض أحمد والفارابي عبد اللطيف إلى تقسيمها (أ) إتجاه علماني عقلاني وإلى (ب) إتجاه قومي وطني، يقسم بدورته إتجاهات فرعية.

ثانيا ، 1) أصداء أدب الرحلات العربي للنصف الاول من القرن 19 م

لدى الإتجاهين السلفي، والقومي الوطني

لقد كان وجود الإستعمار في البلاد العربية من أسباب إعادة ايقاظ الإتجاه القومي الوطني، الذي رأى الأستاذان أبو عوض أحمد والفارابي عبد اللطيف، أنه القبة التي إنضوت تحتها إتجاهات فرعية في ♦ والجامعة الإسلامية، ♦♦ القومية العربية، و♦♦♦ والإتجاه الوطني. وذلك بإضافة الإتجاه السلفي

أ- أدب الرحلات وحاملو فكرة الجامعة الإسلامية :

إن مضمون الجامعة الإسلامية، هو باختصار نفس مضمون الوحدة

الإسلامية ... فهل هذا يعني أن هذه الفكرة قد قامت ليلة إنحلال الخلافة العثمانية .

يبدو أنها كفكرة قد خرجت إلى حيز الواقع مستقلة عن هاجز الخشية من إنحلال الخلافة العثمانية وقيام الجمهورية التركية من طرف جماعة تركيا الفتاة بقيادة مصطفى كمال أتاتورك (حكم من 1924 إلى 1938) سنة 1922 لا بل أن السلطان عبد الحميد نفسه كان من بين من حملوا هذه الفكرة أي فكرة "الجامعة الإسلامية" إلا أنه يلاحظ أنها قد أصبحت فكرة مدعمة بعدد اقتصادي.

- المجال الاقتصادي وحاملو فكرة الجامعة الإسلامية :

هناك من المثقفين من عملوا على تطوير فكرة الجامعة الإسلامية بحيث صارت تتجاوز في مداها ومحتواها مفهومها المنطبق على الخلافة العثمانية، فجمال الدين الأفغاني، سابق الذكر قد وضع لها تصورا أرحب أفقيا وعموديا فأفريقيا يكون المدى التراي للجامعة الإسلامية شاملا لبلاد فارس، وبلاد الأفغان، وذلك طبعا بالإضافة إلى التراين التركي والعربي كما سبق بيانه أما عموديا، فإنه قد أعطى للجامعة الإسلامية بعدا اقتصاديا فتكون بذلك جامعة إسلامية اقتصادية ويبدو أن البعد الاقتصادي للجامعة الإسلامية قد غاب عن المنظرين الغربيين، فالمعجم السياسي لاروس La Rousse قد رأى في الجامعة الإسلامية شكلا من أشكال رفض الحداثة وذلك بخلاف الجامعة العربية PANARABISME التي يرى محررو المعجم السياسي لاروس أنها ذات بعد ينظر إيجابيا للحداثة والجدير بالملاحظة أن محرر المعجم لاروس السياسي يقصد بالجامعة العربية الشكل الأولي لها، وهو مشروع الهلال الخصيب (لسنة 1913) الذي كان يشمل

اسرائيل، رغم عدم قيامها في نظر القانون الدولي سنتذ... أفلذلك قد خيروها على الجامعة الاسلامية ولقد مرّ بنا، أن رأينا أن أدب الرحلات العربي للعصر الحديث قد خاض في مسائل الاقتصاد، والصناعة تحديدا كدعامة من دعائم التقدم المنشود للعالم العربي...

ولقد تمثل المحتوى الاقتصادي في فكر جمال الدين الأفغاني في ضرورة التصدي للنهب الاستعماري لثروات بلاد المشرق وإحتياز موارده والاستعاضة عنها برؤوس مال اسلامية.

وسيواصل رجال الاصلاح الاعتناء بالمسألة الاقتصادية لكن كلا منهم سيقوم بذلك على طريقته فمحمد عبده سابق الذكر ومن خلال جواب عن سؤال كان توجه به إليه فرح أنطون (1874 م - 1926) حول تدخل الدولة في العلاقات بين المالك ومستخدمه قد أبان على نزعته في هذا المجال، وهي رفض الفردية والاستغلال الرأسمالي، لأن دين الإسلام يقوم على التكافل الاجتماعي فجعل من الواجب الإعتناء بمساعدة الفقراء ...

فإذا كان محمد عبده، قد خاض في الفكر الاقتصادي، كمبادئ عامة وكبرى فهذا لا يعني أنه لم يخض في التفاصيل ذلك أن فتاويه قد طالت ميدان التأمين والأرباح ففي فتوى مسجلة بدار الافتاء المصرية تحت عدد 322 (سنة 1319 هـ / 1901 م) إجاز للورثة التصرف في المال على أساس أنه قد استعمل في التجارة وأن الربح المتصل به ذلك المال كان إذا حصل بفضل التجارة .. كما افتي في مجال حساس اجتماعيا رغم المحتوى الاقتصادي للفتوى، وهو ميدان الاستقلال الاقتصادي للمرأة، فأجاب بأنه من حق المرأة المسلمة التصرف في أموالها وان لا تتوقف على اذن زوجها. وهذه الفتوى مهمة لأسباب أخرى، ذلك أن شركة قنال السويس،

الفرنسية هي التي اعترفت على السيدة نفسية حمدي حرم اسماعيل باشا حمدي ومنعتها من ذلك التصرف الذي لا يجيزه القانون الفرنسي، نظرا لعدم أهلية المرأة الفرنسية آنذاك في التصرف فقد سجل ما لها بدون ولاية زوجها ففي سجل الشيخ محمد عبده بهذه الفتوى تقدما للمرأة المسلمة على المرأة الفرنسية، وهو تقدم معتبر خاصة في نظر الغرب..

كما تضمنت فتاوى رشيد رضا سابق الذكر مادة اقتصادية إذ تعلق البعض منها بالميدان المذكور وبمسألة المعاملات المصرفية والربا تحديدا، إلا أنه ومع تشجيعه لتأسيس البنوك الأهلية لمنافسة الأجنبي وكسر احتكارهم لهذا القطاع الحساس في البنية الاقتصادية للبلاد، إلا أنه لم يجرؤ على الافتاء بأهلية الربا وبجوازه داعيا إلى تخصيص أولى الأمر، من ساسة وقضاة وأرباب أعمال بذلك.

وأخيرا، فإنَّ عبد الرحمان الكواكبي (1854م - 1902م) الذي عني بمسألة الاستبداد، لم ينس أن يكشف عن العلاقة بين الاستبداد والاقتصاد، فدعى إلى ضرورة اشتراك كل الناس في استغلال خيرات البلاد، وقد جلب الكواكبي لنفسه شبهة عدم التقيد بالفكر الإسلامي، وذلك بانخاذه الاشتراكية مذهباً، وذلك لأن الكواكبي قد تساءل فعلا، حول أمور يبدو أنه قد قار بها من منظور اقتصادي، ومنها تساؤله، حول إذا ما كانت الحكومة مالكة للحقوق العمومية مثل الأراضي والمعادن والسواحل والقلاع والمعابد....، أم أنَّها لها صفة الأمانة والنظارة عليها فقط؟

كما تساءل أهل أن الحكومة ملزمة بتوسيع (أي بتطوير الزراعة والصناعة والتجارة؟...).

إنَّ كلَّ هؤلاء المصلحين قد خاضوا بشكل وبآخر، وفي مبحث أو في

آخر من مباحث الاقتصاد، وهو أمر جديد في حد ذاته بالنسبة للآداب العربية والإسلامية إذا ما استثنينا ابن خلدون، سابق الذكر في المقدمة وربما الطرطوشي وذلك سواء تعلق الأمر بالأدب مطلقاً أو بأدب الرحلات تحديداً ... ولا مناص من أن نعتبر أن أدب الرحلات العربي للعصر الحديث وكتاب تخليص "الإبريز" للطهطاوي هو الرائد شبه المطلق في ذلك، وأن كاتباً آخر من مثالي خير الدين التونسي قد زادوا في تدعيم هذا التوجه فإذا اعتبرنا الميدان الاقتصادي من دعائم مناعة الأمة، فهل أن الآداب السلطانية، قد تلافت ما جاء ناقصاً في أدب الرحلات، القلم الذي اقتصر على وصف ما يوصف دون قصد من وراء بيان علاقة الاقتصاد بال عمران وبالأمن الاجتماعي والاستقرار المدني أو في الآداب بصفة عامة، فتعرض للإقتصاد أو لإحدى قطاعاته ؟

أن النص السلطاني يستند إلى "التاريخيات" كما يستند إلى "الاخلاقيات" و"الشرعيات" وهنا قد يتعرض إلى "الأموال" وذلك باعتبار أن النظم المالية و"نظام بيت المال، إنما هي من الولايات التي هي من مباحث السياسة الشرعية ... فيكون محدوداً بهذه الحدود، وأما ما رأيناه من فكر اقتصادي لدى كتاب الإصلاح العربي فهو متنوع ومتطور ومتجاوز لحدود النظم المالية الإسلامية، وبالتالي فإن أدب الرحلات العربي للعصر الحديث، ورائده الطهطاوي قد كانا وراء هذا الاهتمام الجديد للآداب العربية بالاقتصاد فلا تعجب أن نرى في نهاية القرن بروز شخصية اقتصادية بارزة في مصر، وهي طلعت حرب باعث المشاريع الاقتصادية من البنوك إلى استديوهات السينما وغيرها.

ثانياً، 2) أصداء أدب الرحلات لدى الاتجاه العلماني

يُحصر الأستاذان أبو عوض أحمد والفاربي عبد اللطيف هذا المسمى في الفئات المسيحية اللبنانية والسورية المهاجرة إلى مصر من بعد اتصال بالغرب ومعاينة معطياته الحضارية والسعي إلى إحتذاء النموذج الغربي.

وقد قالوا أن ندائهم كان يصل إلى حد إختيار إقامة مجتمع لانكي علماني يفصل فيه الدين عن الدولة ويقوم على أساس المبادي الليبرالية ويشترع من مصادر غير الإسلام والدين عموماً وإذ يضرب المؤلفان بكل من مثالا من يعقوب صروف وجريدة "المقتطف" و"جرجي زيدان" ومجلة "الهلال" فهل من علاقة لهذا التيار بأدب الرحلات ؟

في الحقيقة، أنه يصعب أن ندرج هذا التيار العربي المسيحي بسهولة في إحدى الخانات المرتبطة بأدب رحلات العرب في القرن التاسع عشر الميلادي، فلقد كنا رأينا في الفصل الثاني من الكتاب العلاقة المباشرة التي كانت بين بابا الفاتيكان وبين المسيحيين اللبنانيين، في ميدان التعليم في المهجر (أوروبا) منذ القرن السادس عشر الميلادي حيث فتح لهم أبواب المدارس والمعاهد، كما أن الملك الفرنسي قد فعل نفس الشيء في القرن التاسع عشر الميلادي حيث فتح في وجوههم التعليم...

لكن، من المفروض أن يكون ذلك التعليم دينياً، غير لانكي أو علماني نظراً لما رأيناه في الفصل الثاني المتقدم من تداخل ومن أهداف مشتركة Affinites بين الدولة الأوروبية والكنيسة إذا ما تعلق الأمر بخارج البلاد الأوروبية وذلك خاصة قبل اتخاذ الإجراءات العملية اللائكية داخل الدول الأوروبية في طالع القرن التاسع عشر الميلادي فكيف ولد هذا المنعرج لدى المسيحيين العرب اللذين نادوا بالعلمانية وبالفصل بين الدين والدولة لأسباب مفهومة، وهي أن يجدوا مكاناً ومكانة في مجتمعاتهم ودولهم العربية

الأغلبية الساحقة من المسلمين؟

نـ تحديد مفهوم العلمانية :

1) إن أول من استعمل كلمة : علمانية SECURLARISME

كمفهوم مستحدث Notion Sui-générís من العرب المصري إلياس بقطر، وكان ذلك سنة 1828،

والحقيقة، فإن العلمانية لا تعني ما ذهب إليه إلياس بقطر ومن تلاه من العرب، لأنها وعند توحي الدقة والصرامة إنما هي تعني ما تعنيه اللاتينية La laïcité لكن مع إختلاف في ميدان الإنطباق فاللاتينية تنطبق على المؤسسات السياسية ونظام الحكم عموما، بينما العلمانية تنطبق على المجتمع، فمثلا تقتضي اللاتينية فصل مؤسسات الحكم السياسي عن المؤسسات الدينية وفصل القانون عن النصوص الدينية، فإن العلمانية تعني فصل المجتمع الديني La société religieuse عن المجتمع المدني La société civile

لهل أن أدب الرحلات قد حمل فكرة كهذه، أي فكرة تدعو إلى فصل المجتمع الديني عن المجتمع المدني ؟

يصعب تأكيد ذلك بل أنه وعلى العكس فإنه حين دعا أدب الرحلات إلى تطوير نظم الحكم السياسي في العالم العربي، فإنه قد وقع بذلك بمجهودات واضحة في سبيل إظهار نظريات الحكم المقيد بقانون على أنه غير مخالف للإسلام كشريعة التي قد بنّت في كلّ نواحي الحياة الدنيا وأنّ ذلك ليس إلا تطبيقاً من تطبيقات الشورى التي جاء بها الاسلام، وقد رأينا ذلك عند الطهطاوي وعند خير الدين التونسي، لا بل أن المثقفين التونسيين الذين كتبوا تقارير لكتاب "أقوم المسالك..." لخير الدين التونسي، فإنهم قد هللوا وكبروا بالكتاب، لكن على أساس أنه لم يكن مخالفا لشريعة الاسلامية

مثلما مرّ بنا التعرّيج على ذلك.

فإذا كان شبلي شميل (1854-1917) هو أهم رموز العلمانية العربية، فإن مصدر أفكاره وتحاليله إنما هي نظرية النشوء والارتقاء لداروين Darwin (1809م-1882م) التي لم ترد عند أي من أدباء الرحلات العربي في القرن التاسع عشر الميلادي وعلى الإطلاق !!..

وإذا كان المسيحيون العرب، في عصر النهضة، أي في العصر الحديث، أو في القرن التاسع عشر الميلادي، لم يتأثروا لا بالتعليم المسيحي الديني الذي تلقوه من القرن السادس عشر، الميلادي كما سبق أن بيناه وأنهم أيضا لم يحملوا في نصوصهم آثار أدب الرحلات في القرن التاسع عشر الميلادي إلا نادرا كما رأينا ذلك الاستثناء مع فارس الشدياق، فمن أين استمدوا بذرة العلمانية ؟

لقد أحاب الأستاذ محمد جابر الأنصاري على هذا السؤال بشكل عام من شأنه أن يضعنا على طريق الفهم، لا أن يحل لنا كل الاشكالات .
يقول الأستاذ الأنصاري، .. أن الفكر المسيحي الشرقي القديم قد قام بدور رئيسي - قبل الإسلام - ضمن عملية إدخال المؤثرات العقلية الهيلينية إلى منطقة الشرق الأدنى، والتوفيق بينها وبين مسلمات الوحي الديني، مع كليمان الإسكندري (150-200) وأوريجين (185-254م) ... ويعتبر الأستاذ الأنصاري أن هذا الفكر المسيحي الشرقي قد واصل عمله عبر الترجمة مع يحيى بن عدي.

فكان المسيحيون العرب، مؤهلين للتفاعل مع الموجه الهيلينية الجديدة القادمة من أوروبا المسيحية العلمانية القائمة على تجربة غير معهودة من قبل في تحديد العلاقة الجدلية بين الدين و العقل تستند إلى الفصل

والتمييز بينهما...

فذلك هو مصدر التأثير على هذا التيار العلماني للمسيحيين العرب، وليس أدب الرحلات، ولكن تبقى اشكالية العلمانيين المسلمين العرب، مثل طه حسين، فإنه لا مناص من إعتبار أن أدب الرحلات العربي للقرن التاسع عشر الميلادي هو الذي أسس للمناخ العام الذي أمكن بفضلُه أن تجدد العلمانية وغيرها الهامش الذي أتاح لها الوجود ثم المناورة. هذا، وأن المسيحيين العرب، قد اتخذوا من العلمانية - خياراً قومياً يرسخون به أقدامهم في مجتمعاتهم ودولهم القطرية، وقد كان ذلك قد توفّر داخل أطر مختلفة، وقد سجل أدب الرحلات حضوره ضمن تلك الأطر مع رحالة متميز، وهو أمين الريحاني (1876م - 1940م) فلقد كان شريف مكة الحسين بن علي. قد مثل ملاذاً للقوميين العرب، المنتقدين والذين لا يمكن للخلافة العثمانية أن تتيح لهم أن يدرجوا أفكارهم تحت فكرة الجامعة الإسلامية فعلى إثر قيام الحرب العالمية الأولى واشتداد التطاحن الاستعماري على اقتسام الأقطار العربية (اتفاقيات بطرسبورغ لسنة 1915، واتفاقية سايكس بيكو لسنة 1916) فأغهم قد اتصلوا به وعرضوا عليه أن يقود ثورتهم على الأتراك لإنقاذ بلادهم من الاحتلال الأجنبي رابطين بين ضعف الأتراك والاطماع الأوروبية في البلاد العربية" ولقد شكّل هذا الظرف إطاراً تاريخياً لكي يتّصل القوميون المسيحيون والعلمانيون العربي من غير المسيحيين بالملك الحسين بن علي، ذلك أن أمين الريحاني، لم يذهب إلى الحجاز، إلا بعد أن تدخل لفائدته صديق مقيم في الحجاز لدى الملك حسين بن حسين وهو قسطنطين بني وهو عربي مسيحي فعائلته، عائلة بني، يونانية الأصل، من ميكونو قدم جدهم الأعلى المسمّى ميجالي بَنِي إلى طرابلس

(لبنان) سنة 1770 م، ثم سكن واستقر.

وكما شكل هذا الظرف إطار أدبيا، أيضا لانخراط أدب الرحلات في مسيرة الفكر العربي.

ب- رحلات العلمانيين

♦ رحلة أمين الريحاني إلى الحجاز واليمن

لقد أضاف أمين الريحاني بهذه الرحلة، مضمونا جديدا لأدب الرحلات العربي الذي جدد نفسه من خلال تجديد مضامينه في القرن التاسع عشر الميلادي فهل أن إضافة أمين الريحاني تندرج ضمن اضافات القرون العشرين التي أثرت أدب الرحلات العربي وجعلته يعيش وقعا جديدا فمن تجديد إلى آخر ؟

يورد أمين الريحاني سبع ترجمات لسبعة ملوك عرب غير الحسين بن علي، وكلهم ملوك وان اختلفت تمسياتهم وهم مستقلون بنعمة الله - كما يقول الريحاني - **عن بعضهم البعض** واجاهلون **بشخصيا** بعضهم بعضا، ويعمن الريحاني في التهكم من الأوضاع قائلا ، إذا استثنينا الملك حسين وابنه فيصل قد لا نجد بينهم من يعرف زميله الملكي فكأنه يقول أنه لم تبق الإحالة أن يكون الأب وابنه لا يعرفان بعضهما في حياة الملوك العرب فمن باب أولى وأحرى أن هؤلاء الملوك لا يعرفون الأقطار العربية الأخرى معرفة تامة تشمل السكان والأقطار ... أو معرفة غير تامة.

وحتى يبين أهمية رحلته من كونها ستكون المصدر الوحيد لمعرفة الملوك العرب للأقطار العربية عابدا وبلادا، يشير إلى أن الاستعمار لن يقوم بهذه المهمة وأنها مهمة لا يمكن أن يقوم بها إلا أحد أبناء العرب الذي عليه أن ينجز رحلة في هذا الإطار لتحقيق هذا الهدف.

ثم يصل الريحاني لبيان أهم أفضال رحلته إلى الحجاز واليمن مسجلاً بذلك حصول مضمون جديد في أدب الرحلات العربي في العصر الحديث وهو أن يعرف العرب بعضهم إلى بعض وإطلاعهم على أحوال الأقطار العربية كلها، وذلك من خلال الرحلة.

فهل أن في ذلك مبالغة ؟

يبدو أن الريحاني على حق، فالرحالة ربين بدول، وهو أجني مثلاً قد وصل به الأمر إلى القول أن أحد الفاتحين لصنعاء (باليمن) قد انتهز فرصة هطول الأمطار الغزيرة فحول صحن مسجدها إلى مسبح وأجبر العذارى على أن يسبحن فيه عاريات ...

كما سبقت الإشارة إلى ذلك ... وهذا ما لا يمكن أن يكتبه عربي ولو كان من الأقلية من المتأخرين بالإسلام كما هو حال البعض اليوم.

◆ رحلة البشير صفر (تونس) إلى مصر

أما المضمون الجديد لأدب الرحلات مع البشير صفر المتمثل في تعريف العرب بأحوال البلاد العربية الأخرى، بعد إنتصاب الاستعمار والحماية فيها إنما هو حقاً غرض جديد قد انضاف إلى الأغراض والمضامين التي عرفها أدب الرحلات العربي في القرن العشرين وخاصة مع انتشار الصحافة كمحمل من محامل بنات الأفكار في تونس والبشير صفر الذي زار مصر المحتلة من طرف الإنجليز في نهاية سنة 1907 ميلادية وأوائل سنة 1908 قبل أن ينخرط في ذلك أمين الريحاني الذي نفذ رحلته إلى الحجاز سنة 1922 قد كان مصحوباً بشخصية تونسية بارزة، وهو خليل بوحاجب المتزوج من أميرة مصرية، وهي نازلي فاضل.

ولم تكن أهداف البشير صفر من رحلته إلى بلد عربي هو مصر، تعريف

أبناء الأمة بأجزاء من بلاد الحكم، على خلاف ما رأيناه لدى أمين الريحاني، وإنما هو قد أجرى مقارنة بين الاستعمار البريطاني في مصر، والحماية الفرنسية في تونس، فبما للمفارقة العجيبة، ذلك أنه يبدو أن الاستعمار البريطاني قد كان أخف وطأة من الحماية الفرنسية رغم أنه من المفروض أن يكون العكس هو الصحيح، ذلك أنه من وجهة نظر القانون الدولي، يكون الاستعمار الحاقياً بما تتمحي معه سيادة البلاد الواقع استعمار، بينما تكون الحماية عقداً يرمي إلى حماية البلد المحمي من العدوان الخارجي بتولي أمنه الخارجي التي يتولى أمنه بواسطة جيش الدولة الحامية، فقط، ... وتبقى للدولة المحمية بقية مقومات السيادة الوطنية.

فإذا بالبشير صفر يفضح ذلك الانتهاك للقانون الدولي في نص رحلته إلى مصر، إذ يقول :

- "إنه حين وضع قدميه في محطة السكة الحديدية (بالاسكندرية) تبين له أن غالب الوظائف بإحدى المصريين من أعلى مستوى إلى آخر مستوى"

- يؤكد أن غالب الأراضي والأشغال والصنائع بإحدى المصريين.
- إن جميع موظفي دواوين الحكومة، الذين اتصل بهم في إطار مقابلته للخدوي عباس حلمي (1892 م - 1914م) قد كانوا، أيضاً مصريين.

وقد تحدث عن مواطن أخرى تدل على الاختلاف الجوهرى بين الاحتلالين البريطاني والفرنسي فالتعليم الابتدائي في مصر المستعمرة الفرنسية كله تدريس باللغة العربية.

ثم عاد البشير صفر ليرتبط بصميم اهتمامات ومضامين أدب الرحلات،

قائلا ما معناه، إن البلاد المصرية قد سلكت سبيل المدينة العصرية ...
ووجهت همها نحو أساس كل مدينة أعني التربية والتعليم ...

وهكذا، فإن أدب الرحلات تحت الاحتلال قد صار وسيلة للنضال لتحقيق المطالب الوطنية، فعلى اثر القاء البشير صفر هذه المحاضرة بتونس، أدركت الإدارة الاستعمارية الفرنسية في تونس مقاصده لأنها محاضرة تدين نظام الحماية الفرنسية في تونس ذلك النظام الذي يعرقل سير تعليم العربية وسير التعليم الصناعي والتجاري.

ت- الوزير خير الدين التونسي، أديب رحلات بكل المقاييس ...
ومصلح بالمعنى العلمي للكلمة

لقد تعرضنا مرارا عديدة إلى الفكر الإصلاحى لخير الدين التونسي (توفي سنة 1889) وقد بينا مدى ارتباطه بأدب الرحلات وتحمدها برفاعة رافع الطهطاوي وبالاطلاع على قائمة المثقفين الذين قرطوا كتابه "أقوم المسالك ...". نتأكد من أن كل النخبة المثقفة تقريبا قد إطلعت على هذا الكتاب الإصلاحى في مضامينه، وهو رحلة في أصله أي أنه يمثل حلقة مهمة من حلقات أدب الرحلات العربى للقرن التاسع عشر الميلادى.

فلقد قام بتقريظ الكتاب اثنان وعشرون من أعيان مثقفي القرن التاسع عشر في تونس، لعل أشهرهم الشيخ محمود قبادو وهو أيضا أستاذ المؤلف خير الدين التونسي كما قام بتقريظ أولئك الذين ساهموا في كتابة أدب الرحلات، مثل أحمد ابن أبي الضياف ومحمد بيرم الخامس ... وقد ساهم بذلك أيضا لبناني هو خليل الخوري، وحجازي وهو أحمد البصراوي.

هذا، وقد صدر عن خير الدين نفسه ما دلّ على أن كتاب أقوم المسالك إنما هو رحلة، وذلك بقوله: "جمعت بعض ما استتجته منذ سنين

بأعمال الفكر والروية مع ما شاهدته أثناء أسفاري للبلدان الأوروبية" كما قال "حسن الإمارة المتولد منه الأمن ... المشاهد في الممالك الأوروبية بالعيان وليس بعده بيان" فما معنى قول الأستاذ أحمد عبد السلام أن كتاب "أقوم المسالك ... لخير الدين ليس بأدب رحلات!!؟ فهل هو أدري بالكتاب من صاحبه ؟

كما أن كلا من خير الدين وقبله أحمد ابن أبي الضياف، قد دلا على إطلاعهما على أول أثر لأدب الرحلات العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي أي كتاب "تخليص الأبريز ... لرفاعة الطهطاوي حيث أحال عليه خير الدين حين تحدث عن التعليم في فرنسا مثلما سبقت الإشارة إليه، فما معنى تلك الإشارات التي تريد القول أن ملهم رجال الإصلاح في تونس الأساسي ، وربما الأوحده ، إنما هو الشيخ محمود قبادو، كما سبق بيانه، أو القول أن المصلحين في تونس قد ارتبطوا بالشيخ محمد عبده ولسان حالهم لا يبقيني على أية علاقة مع غيره من المصلحين، وكنا قد برهنا على خلاف ذلك، أي على قيام الرابطة الواضحة مع نصوص أدب الرحلة، وتحديدًا مع كتاب الطهطاوي " تخليص الأبريز".

يتبع ...

جبل السرج - برقو : هرم جيولوجي عمره

120 مليون سنة

هرم جيولوجي عن 120 مليون سنة

بقلم الباحث : أحمد المرزوقي

أهميته من حيث البنية و الموارد الاقتصادية

يوجد جبل السرج - برقو جغرافيا بولاية سليانة وهو ينتمي إلى سلسلة الأطلس التونسي الأوسط و يمتد طول هذا الجبل على 40 كم، أما عرضه فيساوي 10 كم. أما اتجاهه هو الشمال الشرقي. تتمثل حدوده من الشمال في سهل "وادي الكبير" و جبل "منصور" و من الشمال الشرقي يحده جبلي "فكيرين" و "الزرس" و من الشرق يحد جبال "بو حجر"، "بودبوس"، "الحلفة" و "سلات"، "الرويسات" و "ترزة" الذين يفصلهم سهل الوسلاتية و القوازين عن جبلي السرج و برقو. أما حدوده من الجنوب فتتمثل في جبل "كسرى" المسطح و من الغرب سهل "رأس الماء"، من الشرق سهل الوسلاتية و من الجنوب يحده جبل بلوطة الذي يعتبر همزة الوصل مع جبل كسرى المسطح (1174م).

يصل ارتفاع جبل برقو إلى ما يقارب 1268 م (قمة كاف حسين) أما جبل السرج فأعلى قمة فيه تصل إلى 1361 م (قمة كرومة الشبهة) انطلاقا من مستوى البحر وهو يعتبر ثاني أعلى قمة في البلاد التونسية بعد جبل الشعاني (1544 م) بولاية القصيرين.

و تعود تسمية السرج نسبة إلى انخفاض ملحوظ في قمة الجبل أخذت شكل سرج الحصان. أما جبل برقو فقد كان معقلا للمقاومين في عهد الاستعمار الفرنسي نذكر من أبرزها معركة الربع ساعة الأخير.

تاريخ العمل الجيولوجي في المنطقة :

منذ أواخر القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين كان جبل السرج-برقو قبلة العديد من الباحثين الجيولوجيين الأجانب الذين ركزوا اهتمامهم على هذه المنطقة في العديد من المجالات، نذكر على سبيل المثال الباحث الفرنسي بارفانكيار **PERVINQUIERE L** الذي مهد بدراسته البنيوية و الليتولوجية (الليتولوجيا هي طبيعة الغطاء الرسوبي وعمره) سنة 1903 ، للباحثين الجيولوجيين الذين نسجوا على منواله نذكر منها أعمال كاستاني **CASTANY G** سنة 1951 و كذلك بيرولي **BUROLLET PF.** سنة 1956 الذي أطلق على الغطاء الرسوبي الكلسي المميز الذي يغطي جبل السرج-برقو إسم "تكوينة السرج" كما لا ننسى الباحث جيران **GUIRAND P** سنة 1968 الذي عمم بحوثه على الأطلسي الأوسط التونسي.

وصولا إلى الباحثين التونسيين الذين واصلوا المسيرة العلمية في سبيل إنشاء الخريطة الجيولوجية للمنطقة و التعرف أكثر و استكشاف مواردها الطبيعية و لعل من أشهرهم الأستاذ محمد منصف التركي الذي انكب في بداية الثمانينات على الدراسة الجيولوجية لجبل السرج-برقو لتأكيد ما سبق من البحوث و إطلاق تكوينة جديدة تسمى " الدريجة" على الطبقة الرسوبية المارنية التي تتركز عليها تكوينة السرج. و كذلك الأستاذ الباحث محمد

الثلاثي سنة 1981، الذي اهتم أثناء إنجازهِ لرسالة الدكتوراه بالطبيعة الليتولوجية، أسباب و ظروف نشأة تكوينة السرج في مستوى جبل السرج-برقو. هذا بالإضافة إلى الدراسة الهيدروجيولوجية (الهيدروجيولوجيا هي علم دراسة الموائد المائية و علاقتها بالطبقات الرسوبية) لجبل برقو التي أنجزها الأستاذ المهندس الحبيب الزبيدي حيث تم نشرها سنة 1983 من طرف الديوان القومي للمناجم. وتضاعفت البحوث و الدراسات التي شملت جبلي برقو و السرج و ذلك في العديد من الاختصاصات مثل الهيدروجيولوجيا، المواد الإنشائية المنجمية، دراسة الكهوف، علم الأحافير الكائنات الحية المتحجرة التي تحتويها الطبقات الرسوبية... وقد أشرف في الآونة الأخيرة المهندسين السيد كمال محجوب و السيد الطيب الدالي على إنجاز و نشر الخريطة الجيولوجية (سلم 1/50000) لجبل برقو رقم 47 وذلك تحت إشراف الديوان القومي للمناجم، أما بالنسبة لخريطة جبل السرج فمازالت في طور الانجاز.

على درهم نواصل اكتشاف أسرار جبل السرج-برقو

من أهم أهداف هذه الدراسة التمهيدية هو إبراز أسرار تركيبة جبل السرج-برقو و من ثم شبكة الانكسارات التي صدعته و التي أنتجت خزانات طبيعية هامة لمياه التساقطات. وهذه الانكسارات هي نتيجة لحوادث تكتونية ضربت الغطاء الرسوبي السطحي للجبل و ذلك أثناء العصرين الجيولوجيين "الثلاثي" و "الرابعي"، وذلك بصفة تدريجية. يصل سمك هذه الطبقات المتصدعة و المنكسرة إلى ما يقارب 200 م وهي

تنتمي إلى العصر " الكريتايسي الأوسط" و بالتحديد إلى الحقبة الجيولوجية التي تعرف باسم "الأبسيان الأعلى - الأليان الأسفل" و عمرها يصل إلى 115 مليون سنة وهي ذات تكوينات كلسية سميكة قد تكونت و ترسبت في حوض رسوبي بحري عميق و هادئ غني بالرخويات البحرية و التي أصبحت الآن أحافير. نذكر على سبيل المثال Rudistes, les polypiers, les foraminifères

1 - مفاهيم جيولوجية عامة :

* مفهوم الزمن الجيولوجي :

هو مقياس طويل يتعدى عمر الإنسان إلى حد كبير يتم فيه استعمال مقياس مخالف للمقياس المستعمل في الأحداث البشرية ذلك لان معظم مظاهر و أشكال سطح الأرض تتشكل بطريقة بطيئة و بمحور حقب زمنية بحيث لا يتمكن الإنسان من أن يلاحظ التغيرات التي تحدث خلاله. و قد بين علماء الجيولوجيا أن الأرض منذ أن أصبحت كوكبا يقدر عمرها ب 3000 مليون سنة لا يعرف منها سوى 20 % أي ما يقارب 500 مليون سنة (م.س) إذ أن معظم مظاهر سطح الأرض ترجع إلى هذه الفترة الأخيرة من تاريخها. التي قسمها علماء الجيولوجيا إلى أربعة عصور زمنية متتالية ينقسم كل عصر منها إلى عدة فترات زمنية يختلف إسم كل حقبة منها حسب المنطقة التي اكتشفت فيها أول مرة، نعرضها في الجدول التالي:

العصر الجيولوجي	العمر بحساب المليون سنة (م.س)	الفترة الزمنية
		الكمربان

الأردوفيسيان	520 م.س إلى 250 م.س	
السلوريان		
الديفونيان		
الكربونييفار		
البرميان		
الترياس	250 م.س إلى 65 م.س	العصر الثانوي
الجوراسي (فترة تكاثرت فيه الدينصورات)		
الكريتاسي (فيه تكون جبل السرج- يرقو، وبنهايته انقرضت العديد من الكائنات الحية)		
البليوسان	65 م.س إلى 2 م.س	العصر الثلاثي
الايوسان		
الأوليغوسان		
الميوسان		
البليوسان		
البليوستوسان	2 م.س إلى العصر الحاضر	العصر الرباعي
المولوسان		
الحاضر ويتميز بظهور الإنسان الماهر		
Homohabilus و الإنسان المنتصب أو العاقل		
Homosapiens		

* مفهوم البنية في الصخور الرسوبية :

تلعب عوامل الإضعاف دورا كبيرا في تحديد بنية الصخور الرسوبية، وهي تنقسم إلى صنفان :

* الارتفاع التكتوني و الانخفاض التكتوني :

تتسبب هذه الحركات التكتونية في:

- انكشاف الطبقات الصخرية العميقة
- ازدياد حدة الانحدار
- ازدياد عملية التعرية و الحث
- ترتيب أنواع مختلفة من الصخور جنبا إلى جنب أو فوق بعضها

البعض

- خلق منابع للمياه الجوفية

* قوى الشد و الضغط :

وهي المتسببة في الالتواءات و الانكسارات التي تضم الفواصل و عدم التجانس و كذلك الطبقات المتقاطعة و الشقوق فمن النادر أن نجد صخورا رسوبية في الطبيعة متوضعة بشكل أفقي تماما فأي تجعد بسيط يمكن أن يؤدي إلى تكون قباب و أحواض تتراوح أحجامها من بضعة أميال إلى مئات الأميال أي محلية أو عامة.

يؤدي الضغط على هذه الطبقات إلى التواء اعتيادي فتظهر تموجات متوازية في شكل أقواس و منخفضات تسمى بالالتواءات المكدبة و الالتواءات المقعرة. عندما يكون هذا الضغط متطرفا و شديدا فانه يؤدي إلى حدوث الانكسار المستلقي مثلا.

تتسبب هذه الحركات التكتونية التي ترافقها قوى التوتر و الانضغاط في عدم التوافق أو عدم التجانس بين الطبقات الرسوبية و ذلك بفعل انقطاع

في الطبقات أو إعادة لنظام ترتيبها مما يزيد في ضعف الصخور، من نقص في سمك الطبقات وزيادة في الانحدار. من ناحية أخرى تظهر عدة شقوق هندسية تمتاز بوجود زحزحة سطحية محدودة تسمى المفاصل هذا إلى جانب الشقوق و الصدوع العادية، فيتم بذلك تقسيم الكتل الصخرية إلى مجموعات مفصلية مختلفة الأبعاد و الأحجام .

تلعب هذه المفاصل و الصدوع و الشقوق دور قنوات للماء المتسرب فهي بذلك قائمة بعمل المسامات الصخرية من تحليل الصخر كيماويا و تفتيته ميكانيكيا في حالة تجمد الماء.

2 - البنية العامة لجبل السرج-برقو:

يتركب جبل السرج-برقو المتجه نحو الشمال الشرقي من جبلين متتالين هما : جبل برقو الذي يوجد في الغرب و "قبطون كاف الشرقي" إلى الشرق و يفصل بينهما بنية انشائية ثالثة و تسمى جبل "اللوزات" و جبل "الروس" الذين لهما نفس الاتجاه. كما تتراوح درجة انحدار طبقات جبل برقو بصفة عامة بين 25 و 30 درجة و ذلك في مستوى السفح الجنوب شرقي ، أما في مستوى السفح الشمال غربي فهي تتراوح بين 60 و 80 درجة. ومن أهم الانكسارات التي أصابت هذا الجبل نذكر صنفين : صنف أول باتجاه الشمال الشرقي و ثاني باتجاه الشمال الغربي كما تبينه المقاطع الجيولوجية رقم 1.

أمل جبل السرج الذي يوجد في الجنوب الغربي لجبل برقو فهو يتركب من سفحه الجنوب شرقي فقط أما السفح الشمالي غربي (أي نصفه الطولي) فقد انهار منذ آلاف السنين بفعل انكسار رئيسي لديه نفس اتجاه الجبل ثم غطي

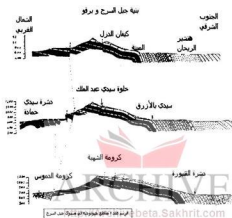
برسوبيات حديثة تنتمي إلى العصر الرباعي الحديث و تعرف الآن بسهولة رأس الماء. تتحلى إحدى هذه الانكسارات خاصة في دشرة "الزريرة" لتنتهي في دشرة "سيدي مرشد" الواقعة شمال شرقي الطريق الفرعية المؤدية إلى الوسلاتية.

كما يضاف إلى هذا الانكسار الرئيسي الذي أصاب جبل السرج، شبكة كثيفة من الانكسارات الثانوية و العميقة وهي شبيهة بالتي توجد في جبل برقو من حيث الاتجاه و العمق و التي أصابت أساسا الطبقة الكلسية السطحية التي تنتمي إلى عصر الأبيسيان الأعلى- الألبان الأسفل (تكوينه السرج). و كذلك الانكسار الذي يفصل جبل السرج عن جبل "قيتون كاف الشرقي" وهو باتجاه الجنوب الغربي. (انظر المقاطع الجيولوجية رقم 1).

أما عن تاريخ تكون جبلي السرج-برقو فقد تم ذلك بمحذوث حركات اهتزازية موجبة أصابت الطبقات الرسوبية الكلسية وهي في بداية تكونها وذلك انطلاقا من الفترة الزمنية المعروفة باسم الكريتاسي (120 م.س)؛ فانجر عنها تكون قباب و انخفاض في سمك الطبقات الرسوبية على سفحي الجبل). هذه الحركات الاهتزازية تواصلت إلى نهاية فترة الايوسان (35 م.س).

مع نهاية العصر الثلاثي، أصابت بعض الحركات التكتونية الأطلسية العنيفة جبل برقو-السرج و التي اتسمت بشدة ضغطها فتولدت عنها تجمعات باتجاه الشمال الشرقي-الجنوب الغربي ثم أصبحت هذه الانشاءات مائلة نحو الجنوب الغربي هذا بالإضافة إلى الصدوع من فصيلة الحسف (subsidence) أو الرفع (Soulèvement) و التي تسببت في

ظهور شكل سرج الحصان في أعلى الجبل. أما في جبل برفو فيتجلى ذلك في مستوى عين "مزاة" (السفح الشمالي) ليأخذ في الأخير جبل السرج-برفو بنيته و شكله النهائي الذي عليه الآن.



مفتاح الرسوم

- الطريق الرئيسي
- الطريق الثانوي
- الخط الحديدي
- النهر
- البحيرة
- الغابة
- المنطقة الحضرية

- الطريق الرئيسي
- الطريق الثانوي
- الخط الحديدي
- النهر
- البحيرة
- الغابة
- المنطقة الحضرية

3- علاقة الانكسارات الأرضية بمنابع العيون :

باستعمال الصور الفوتوغرافية الجوية ذات السلم 1/25000 (مهمة 1974) لجبلي السرج و برقو، يمكن لنا إتباع و تشخيص سلسلة الانكسارات الرئيسية و الثانوية ذات الاتجاهات المختلفة التي أصابتها و هذه الإصابات محورت في الطبقة السطحية التي أطلق عليها سابقا "تكوينة السرج". هذه الدراسة للصور الفوتوغرافية الجوية تم تدعيمها بعدة زيارات ميدانية للتأكد من صحة اتجاهات الانكسارات و الشقوق و المفاصل التي أصابت تكوينة السرج. وقد أثبتت العديد من الدراسات أن جميع الانكسارات التي أصابت جبل السرج-برقو هي عميقة و كثيفة خاصة في جبل السرج و أن لها علاقة قوية بتلك الكهوف التي يتميز بها جبل السرج، فهي تشترك معها في نفس الاتجاه مما يدل على وجود علاقة وطيدة بين تكون الكهوف و الانكسارات التي أصابت جبل السرج-برقو. هذا بالإضافة إلى العيون التي تتفحرت و تذكر من أهلها عين "بوسعدية" (نسبة إلى الولي الصالح سيدي بوسعدية) ، عين "مزانة" ، عين "سيدي مطير" عين "سيدي بولمانه" ... بجبل برقو وهي عيون دائمة السيالان. و في جبل السرج نجد عين "الذهب"، عين "الزربية"، "عين القليعة"، "عين سكرة" التي أنشأ عليها معمل لتعليب المياه المعدنية.

* تعريف الكهوف :

الكهوف هي عبارة عن فجوات ذات فتحات في الصخر وهي عبارة عن منحاف جيولوجية مخبأة في باطن الأرض، تنفرد بخصائص وتكوينات نادرة استغرق تكوينها وتزيينها آلاف السنين وهي كنوز طبيعية و تراث وطنية

تستوجب العناية و الرعاية كجزء هام من تراث تونس الطبيعي والبيئي.
توجد معظم الكهوف في جبل السرج ويصل عددها إلى ما يقارب التسعة وهي مختلفة من حيث الحجم و الأبعاد. بعيدا عن الأنظار وفي قلب تلال جبل السرج تحديدا في وادي "عين التسب" يختفي واحد من أجمل الكهوف الجوفية في تونس إنه كهف "عين الذهب" وذلك في السفح الشمالي للجبل، أما في السفح الجنوبي فنجد كهف "عين المينة" الذي يصل طوله إلى ثلاثة كيلومترات.

* كيفية تكون هذه الكهوف :

تتكون الكهوف نتيجة ذوبان الصخور بواسطة المياه الجوفية التي تتجمع بعد سقوط الأمطار مكونة أودية وانحارا تعتبر النظير تحت الأرض لما نراه على سطحها من شبكات الأودية والنجاري المائية وتبدأ عملية تكوين الكهوف بواسطة إذابة الصخور الحجر الكلاسي بمياه الأمطار التي تكون على هيئة محلول حمضي مخفف ذاب فيه ثاني أكسيد الكربون من الجو أو من التربة حيث يتغلغل هذا الماء في شقوق الصخور فيذيبها مكونا فجوات فيما بين مفاصل الصخور وتلي عملية الذوبان هذه عملية أخرى ولكنها عكسية حيث ينخفض مستوى سطح المياه الجوفية ليصبح الكهف فارغا مملوءا بالهواء وفي الجانب الآخر يتابع الماء سريانه داخل تشققات الصخر ليصل إلى سقف الكهف الداخلي على هيئة نقط أو قطرات مائية لتبدأ بذلك عملية الترسيب أو المعروفة بعملية التزوين الطبيعية للكهوف بترسيب مختلف الأشكال الكهفية كالصواعد (Stalactite) والهوابط (Stalagmite).

تتكون المهابط التي تزين سقف الكهف عن طريق تعرض القطرات المائية البطيئة الحركة لهواء الكهف الغني بثاني أكسيد الكربون (CO2) حيث يتم تركيز معدن الكالسيوم (كربونات الكالسيوم) إن هذه المادة على هيئة حلقة تحيط بحواف قطرات الماء ويزداد حجمها تدريجياً وهي تنمو مدلاة من سقف الكهف.

أما الصواعد فتتكون عندما تسقط قطرات الماء المتدلية من السقف إلى أرضية الكهف وتتبعثر على مساحة أكبر نسبياً وبمرور الوقت يزداد تراكم الرواسب الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى تكوين تراكيب تضاعدية تعرف بالصواعد ويحدث أحيانا أن تتقابل هذه الصواعد والمهابط في نقطة واحدة ليكونا معا ما يعرف بالأعمدة.

ARCHIVE

الموارد الاقتصادية لجبل السرج وبرقو :

يعد جبل السرج وبرقو من أهم الأماكن ذات البعد الاقتصادي في تونس، فهو يعتبر محمية طبيعية تعرف لدى المختصين في تنوع الكائنات الحية من نباتات وحيوانات و لعل من أشهر هذه البقاع المحمية الطبيعية بسبدي حمادة (دشرة توجد في الطرف الشمالي لجبل السرج و على ارتفاع 850 م) التي كانت و لازالت قبلة للعديد من الزوار المحليين أو الأجانب الذين تستهويهم الطبيعة. أما الكهوف التي توجد خاصة في جبل السرج والتي يصل عددها إلى تسعة قد عرفت شهرة حتى في البلدان الأوربية نظرا لجمالها و الأساطير و الحكايات الشعبية التي اشتهرت بها و لعل من أبرز هذه الكهوف هو كهف عين الذهب ثم كهف المينة في السفح الجنوبي لهذا الجبل. و قد تضاعفت الزيارات الاستطلاعية لهذه الكهوف منذ سنة

1967 حين قام فريق من الجمعية الفرنسية للكهوف بأفينيون (Avignon) باستكشاف كهوف جبل السرج و أصدروا في هذا الغرض العديد من النشريات. إن كهوف جبل السرج تعد ثروة وطنية لا بد من المحافظة عليها و تقييمها و دمجها في برامج التنمية المستدامة باعتبارها محمية جيولوجية عالمية.

من حيث الموارد المائية، يعد جبل السرج- برقو من الخزانات الطبيعية الهامة في تونس للماء كما و كيفا فعين بوسعدية وحدها كانت ولا زالت تزود الضاحية الشمالية للعاصمة بمائها العذب الذي يلتقي بماء منطقة جوقار (ولاية زغوان) في منطقة المقرن ليتجه نحو تونس في قنوات ضخمة أعدت من طرف الشركة التونسية لاستغلال و توزيع المياه. فالماء العذب الذي يتفجر من عيون جبل السرج و برقو لا تتجاوز نسبة ملوحته 0.5 غ/ل حسب التحاليل الكيميائية التي أجريت عليه خلال عدة سنوات و الدليل على ذلك أنه تم إنشاء معملين لتغليب المياه المعدنية و تسويقها.

الخلاصة :

إن البلاد التونسية غنية بالمواقع الجيولوجية الهامة و التي تشهد على عدم

استقرار البحر و المناخ خلال العصور الجيولوجية الماضية.

يعتبر جبل السرج- برقو من المواقع الجيولوجية و البيئية الهامة في تونس وهو ينفرد بتكوينه السرج التي تتميز بـ (faciès) كلسي غني بالرخويات البحرية التي ترسبت في وسط بحري غير عميق نتيجة الاهتزاز التكتوني الموجب الذي أصاب الحوض أثناء الترسيب، و تبقى هذه الرواسب الكلسية والمارنية الشاهد الوحيد على هذه التغيرات الحاصلة و عدم الاستقرار

التكتوني في المنطقة.

لعبت الأحداث التكتونية و كذلك عوامل التعرية المناخية دورا هاما في نحت جبل السرج-برقو و حفر العديد من الكهوف فيه وهي أيضا كانت السبب في تفجر العديد من العيون التي لازالت مصدرا للحياة بالنسبة لجميع عناصر الوسط البيئي الجبلي.

لهذا الغرض لابد من الاعتناء أكثر ب هذا الهرم الجيولوجي من الناحية العلمية والاقتصادية.

أشرف على هذا البحث السيد الشاذلي بن حمزة أستاذ جامعي في مادة الهيدروجيولوجيا بكلية العلوم ببنزرت.

REFERENCES BIBLIOGRAPHIQUES :

- **DALI T., MAHJOUB K. (2002).** – Carte géologique de Jebel Bargou. Notice explicative. ONM. Tunisie. 2002.
- **MARZOUKI W. (2003).** – Etude géologique de quelques grottes karstiques du Jebel Serj. Université Tunis El Manar. DEA. 102p.
- **ZEBIDI H. (1983).** - Contribution à l'étude du bilan hydrogéologique du Jebel Bargou. Note du service géologique Tunisie N°28, 1983. 80 p.
- **BUROLLET P.F.(1965).**- contribution à l'étude stratigraphique de la Tunisie centrale . Ann.Mines et géol, Tunis, n°18, pp. 13 – 168.
- **PERVINQUIERE L. (1903)** – Etude géologique de la Tunisie centrale – thèse. Sci, Paris. F.R de Rendeval, 306p.

- **CASTANY G. (1951).** – L'orogénèse de l'Atlas tunisien. Bull. Soc. Géol. Fr. 6è série, t. I, 1951, p. 701-720.
- **TURKI M.M. (1977).** – Structure et évolution du massif Serj-Bargou. Notes Service géologique de Tunisie N°43, 1977.
- **TURKI M.M. (1977).** – Stratigraphie et paléogéographie de la région Serdj-Bargou (Atlas tunisien central). Bull. Soc. Sc. Nat. Tunisie, 1977. t. 12, pp. 83 – 88.
- **TLATLI M. (1980).** – Etude des calcaires de l'Albo-Aptien des djebels Serdj et Ballouta (Tunisie centrale). Université de Provence, université d'Aix – Marseille. Thèse Doct. Etat, Marseille, France. pp. 11-274.
- **MARZOUKI W., OUAJA M., OUAKAD M., ZARGOUNI F. (2004).** – Rôle de la tectonique dans la genèse et l'évolution des systèmes karstiques. Annales des Mines et de la géologie n°41, 2004, pp. 119– 131.

▪ **عامر الوسلاوي (1981).** – التكوينات البحرية الحديثة على السواحل التونسية (محاولة ضبط لأهم النتائج). كلية الداب و العلوم الإنسانية بتونس. 13 صفحة



رسالة إلى امرأة مجنونة

شعر: الهادي العثماني

حين تحب امرأة شاعرا لابد لها أن تتعب بمجنونه فتتعذب وهي
تلهث خلفه في دروب شائكة لا صبر لها عليها ولا احتمال ...

لماذا أحيتني يا امرأة ؟!

والهوى في دمروبي عذاب

لماذا أوحيت لي .. يا امرأة

بكل التعاليم في عشقك

والدروب سراب ؟!

فكل الطقوس ما رسمتها منذ عهد الصبا

حين فيها تسكنت ...

أمر ناد خمارة تلو أخرى

أجرب فيها كؤوس الشراب

فهل تعلمين ؟



باني شررت خمورا معتقة أثملتني

وأنني كتبت

قصائد الحب، والشوق، والاغتراب

وأنني ذهبت وحيدا - بعيدا

توغلت في غيب الاكنتاب

وأنني مررت

على مسرح هذا الجنون الغريب

جناح السحاب

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

وأنني طرقت،

وأنني لعبت على مسرح الحب

دون احتجاب

وأنني - أنا ،

هناك ... هنا

حاضر بالغياب ... ؟

لماذا ؟

وكيف ؟

متى ... ؟

ثم أين ؟

وهل كان ذاك سوى مرحلة

بين ذاتي وبيني

توغلت فيها مع الحزن

أمرهقني الانتساب

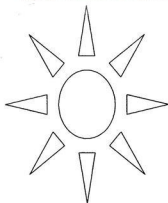
فأقسمت أن أقصف غربي بالأماني

وداخلي فوضى

ARCHIVE

وبيني وبين الزمان حساب

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



دائرة العطب

شعر: أمل بن سلطان

للأشياء أرواح تسكنها... وللأفكار أشياء تسكنها..
حكمة الإنسان أن يكسو الأفكار لحما.

.....-

-ربّما!! ولكن كيف حدث هذا؟

-حكمة الطبيعة التغيّر والإثبات.

-أي عقل أن تصاب الأفكار بالعطب؟

.....-

يجسّدون ما تعشقه... يزلّون من الغيمة الجبلى ليسكنوه الصّوان أو
الحديد... كذلك يضرّبون الأمثال.

-خلق واستنكر صوته وفي ذلك حكمة.

-من؟

-حكمة خلقه أن يتعلّق الشيطان بذيله ليستقلّ الفلك والإنسان..

-الحمار..

-كانت أنا، وكانت بعين واحدة.. تكاثرت.

-عجبا!

يتصبون الموائد.. ويمنعون الإشتهاء.. كانت هناك حضراء يانعة
والظلال لا تحجب فنتها..

-الوقت صفر، والثمرة تعلن أبدية الإغواء.

.....-

ويل للمشتتهين.. أو هكذا قيل.. يسكنك الخلل.. يقيم بداخلك
كالمرض

الأمرئي.. يطفو.. يهدّدك.. فتشتاق الحياة تقصدها..

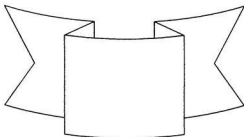
تؤلّها.. ثمّجدها فتسكنها الأشياء...

-لكن كيف حدث هذا؟؟؟

-مالت على وجهها المحسّد تعشق صورتها.. ساقها الإغواء..

إقتربت كثيرا حتّى سملت إبرة الميزان عندها.. دخلت دائرة العطب..

العدالة بعين واحدة لا ترز، الأشياء كاملة.. والتعوّد حكمة الإنسان



أغنية الغريب

شعر : نعيمة نصيبي

يا الغريب القادم من وجعي
دعني أتورط في حبك حد العناء
هيني لي قبرا حذو روحك
واسط يدك قليلا
فالحال جوع الذاهبين على المواسم

والاسم أنتي واشتهاء

<http://Archivbeta.Sakhril.com>

*** **

للريح أجراس الفجيرة، التيه آخر من
ولحبك مواسم الفرح المرحل في البكاء
دعني أتوقع خطواتك على حلمي
وأنت تطوي المكان تلو المكان
والزمان تلو الزمان

وتدخل مناطق الخوف الغرب
فتسقط نائرا وتصد ماء
دعني أتصور وقع الكلمات على جسدي
وانظر كيف تنحل القصيدة في دمك
وأقول للقمر الطالع في عراجتك المبتلة بالندى
"أنا الأجمل يا قمري"

ما ألد ما تترعه في من غرور

وما ألد ما سأحصده من خواء

ARCHIVE

*** **

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

للخراب أنرمته... وللأشواق أنرمته

لا تعرف الجوع المدجج في المدى

لا تعرف طعم الفجيرة الأولى

حين خرج الطفل من دمي مغتسلا بأغنية الندى

للبدء فجيعتك

قد تهدي الأصوات إلى أمواتها فرحا

وقد تبكي المدينة غرباً
تأه في طقوس الروح حدا لأذى

*** **

يا الغرب القادم من وجعي

تعال ...

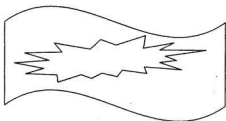
لك ما يشتهي البحر في نهر قته
لك تلثم هذا الندى على جسدي

لك احمر امر التمر في قلق الرمال

لك جوع الشمال على الشمال

يا الغرب القادم من وجعي

تعال ...



أنكيدو...

شعر: صالح الطرابلسي

الفتى...

يوم أطلق صبيحة في

وجه هذه الدنيا،

قالت له الأمرض:

مثلما أهديتك طينتي

ARCHIVE

جسداً،

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ها أنفي أعدك الآن

في تربتي مرحماً!

بين الطينة والرحم دمروب

شتى!...

مفعمة بالمصاعب،

تلك الدمروب...

وللترن

على العمر هنا سطوة،

إذا لم تقتله يقتلك !

قال الفتى: يعلم آدم في

أنه جاء إلى الدنيا موشوم الساعد

بالخطأ !

والتي تأتي، ولا تأتي،

أعلم جيداً،

أن الطريق إليها

معبدة،،،

بأشواك من جراح ...

وخزها يدمي ! ...

(أنكيدو) * أنا، وشغلي

طلائع الثنايا،،،

نحو نحوهم المستحيل،
سوف أسعى،
كي أعيد تفاحة الوصل إلى
فردوسها في الجنان! ...
(أنكيدو) أنا
سأخترق الذرّوب،
كلها كي أغرس
في ثرى الأرض ومردة
ARHIVE
http://Arhiv.org/Guest.com
ضوعها يعقب بالخلود!

قالت الأرض:
هذا الدّم القاني،
هو ذا يرتدي قبعة مراعي
البقر!
فما مصير الحمامات

في القفص؟

والعصا صارت هشة؟!

لا من يتوكأ عليها

ولا من يهش...

هل صحيح،

سقط الدم القاني؟

في حقيبة الشحاذة؟!

هل صحيح؟

<http://Archiebeta.Scribd.com>

أوقع الدب سرب الحمام

في سوات القمامة؟!

يا ذا الشفق المترامي على

مد الأفق الرمادي،

ما شكلها الشمس التي

تخفي تابشيرها خلف

هذا الغروب؟!
ما أشعتها حين ضوءها
يستباح؟!
ما حرّ لظاها، وما...
سحر الندى في ذاك الصباح؟
غامض حتى هذا الفجر
الذي يرتديه العالم وشاح

حالك في الغموض.

<http://www.Sayid.com>

أنهذا الفنى، أثبت تحاليلك
التي قد تهالكت على
وقع تحجرها!
قم...

لا هوان، وتضع
دمرك الماضي إليها،
قم، واستنق يا صاح!

نهض الفتى،

يرتدي من بساطته

وقامرا،

ويمشي في المعرك،

ملتحقاً برداء مرزاه!

يمشي...


ARCHIVE

مقتنيا سنين العمر موتاً،
<http://Archivebeta.Scribit.com>

أو حياة!

الكلمات...

تنسج بردها،

من ظلماء الماء في جلده،

في كفّه قلبه...

يحمّله شحنة إحسان!

عشقه...

ينزعجه دفاقاً،
ينبض في شربان الناس!
سألته الأرض عن
معنى الصبح فقال:
أن ينهض الكون...
بعد سبات الليل، محتفياً،



متفحة...
ARCHIVE

<http://Archivebe@a.Sakhrj.com>

تشرق عبقا، مهدية

للورى
بأقة من ضياء!
عطرها القياض مباح!
ذاك هو الصبح.

أن يلفظ الجسد العليل،

صوته ...

في كفن الرماد،

لتشتعل الروح فيه،

شهوة أخرى

تأجج بالحياة! ...

مفعمة بالصلاح وبالفلاح!

ذاك هو الصباح.

ARCHIVE

<http://Archive.alaydi.com>

للأيدي في عزه،

كي تنشق في الومر

للحب ...

بيتا متين الأمن

لن تهدمه رياح!

ذاك هو الصباح.

أن نكون كالطير...

نملك الملكوت والأرض...

دون تسم!

نملأ الدنيا أغاريد،

دون نشار!

ونؤث دمار الكون تعالىم،

فوق الذمى نرفع الرايات

خفاقة <http://Archivebeta.Sa3a.com>

بنبض محبتنا...

وباختلاجات السلام،

في ترانيم الصداح،

ذاك هو الصباح.

*1 "أنكىدو" هو الباحث عن نبذة الخلود، في ملحمة فلفامش

القَصَاب والشَّجرة

شعر : محبوب الطرابلسي

(براءة من الشَّجرة

وما أنبتت من الأسود والحمام

على الذين عاهدتم من القصاب والرَّميم)

يَا أَيُّهَا المَدثرُ

شرا بين القلب

ARCHIVE

يتشها اللهب

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

قم وانظر

لا وتاد بيتك

مزقت أوصالها الجرد

يا أحمد !

فلا تستيقظ

فرداء الليل

يقيك نأمر الشمس

فأوأمر تشف

مرضاب الموت

عسلأثأله علقه

هذه النار لا تمسها !

لا تخف !

ستقبلك يوم يلتقي المحمضان

هذه الخيمة

<http://Archive.org/Sakrit.com>

هناك أعين الشمس

لا تقف ظل نخيلك

ابتعد !

لا تقبل وجه أرضك يوما

لن يحتضنك الرمل

حين يرسلون إليك

شهادة وفاتك
الآن أن لك يا ابن أُمي
أن تموت واقفا
دع ضلك يمشي وحده
ووحده يعانق
مضجك الأخير



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هذا مهدك
هذا الحدك
ولكن لن تسمع
صدي صوت
يح من نر من
وفي أذنك الوتر

ويا ربّ يوم
قد مررت بأرضنا
لم أجد نخلاً ولا خيمة
ووجدت ظلاً
صاح أحمد وهو يتهض:
"أين أمي
قلت: هذا الظل أمك

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ثم نادى في دھول
أين بيتي ؟!
فأجبت والاسى أهرق دمعى
"حين يأتي الليل تعرف"
جاء ليل، واجتمعنا
تحت نخلة قد تهاوت

ثم قلت : هذا بيتك

فصمتنا بعض ساعة

وإذا بالطفل يبكي

ثم يسأل : هل لي اخوة .

فصمت ثم قلت :

هذه الأغصان كانت

قبل قصب لك اخوة

ARCHIVE

<http://Archive-beta.Sakhril.com>

فأصاب الطفل دعر

حتى قال : يا أخي

بالله قل لي

أين أسد التخل كانوا

لماذا القصب جاء ؟

قلت آه كانوا سكر

قلت آه كانوا نوما

كانوا سكرًا

كانوا نوما

لم يبالوا بالوباء

بهش الأجساد

والترب والنخل العظيم

حتى بات يحني رأسه

ARCHIVE

<http://Archivebeja.Sakhril.com>

هذه يا شبل دامرك

تستعر

فانسحر... لا تسهل

أمت مرماذا! ..

بين إذاعي... ومستمع

بقلم : مبروك صالح المناعي

جن الليل واشتدّ البرد فتذكر مجدي قوله جده الراحل "الشتاء شدة والربيع رخاء والصيف ضيف والخريف هو العام، ثم غمغم: رحمك الله يا جدي... تذكرتك الآن لأنك مت بالليل وكذلك أغلبية الناس يموتون ليلاً، وذكرني بك الشتاء لأنك رحلت في فصله منذ عدة سنين.

تفاعلت الطبيعة مع الذكرى فجعلت الريح تنفخ تارة وتصفّر أخرى واشتدّ حفيف أوراق الأشجار وتعالّت الطقطقات والخشخشات تحدّثها الأشياء بتخللها مواء القطط ونباح الكلاب، وتقاطلت الأمطار فأنهمرت المياه. وتعطلت الحركة بالشوارع بعد أن توقفت الأنشطة بينما تواصلت الحياة في البيوت وبعض المحلات. فاستشعر الفتى مجدي وحشة وضاقّت أنفاسه، هل تشاءم من الزمان والطقس بسبب استحضار شخصية جده الراحل زفر زفرة قوية وهتف "ما هذا الكابوس يا إلهي... كأني أتوقع مكروها.. لا قدر الله.. اللهم اجعل توقعي خيراً".

في تلك الآونة ألمّ بجهاز التلفزيون عطب فتحوّلت شاشته إلى صفحة سوداء مخيفة فأتاح الانقطاع فراغاً للأسرة كي تتحاور

وتتسامر لكن مجدي قد خيّر الاعتكاف بغرفته فقرقص بفراشه واحتضن مذياعه الصغير، ذلك المجلس الوفي، ذلك الخدم العجيب الذي دأب على ربط الصلة بينه وبين فرسان الأثير، أولئك الذين ألف مصاحبتهم فكسب صداقتهم، ظل مذياعه الصغير حلقة وصل بينهم وبينه.

وكان الهاتف يصله بهم في مناسبات عديدة فيتجاوز معهم ويشارك في المسابقات ويفوز بالجوائز.

أسند رأسه إلى يمناه فوق وسادته ولبث يتابع بث أغنية حزينة في انتظار برنامجه المفضل "ساعة للجوائز" الذي ينتظر منه الترويح والترفيه.

لكن لحنا موحشاً صدم سمعه ووخز أعصابه وخز الأشواك. وتواصل في عزف حزين منطلق من ذلك الناي المعهود الذي تتوخاه الإذاعة للنواح كلما اختفى علم من الأعلام المشاهير. ذكره ذلك اللحن المفرد بمعزوفات مماثلة سبق أن بثت للإعلان عن وفيات لمشاهير تونسيين.

قفز مجدي من مرقده وانتصب واقفا فاستعوذ وحوقل ثم عاد إلى الجلوس منصتا إلى العزف الفظيع لكنه استشعر دقات قلبه قد تسارعت فتوترت أعصابه لكنه تماسك نفسه فلبث يغمغم "سترك يا رب.. لطفك يا رحيم.. من المبوب للرحيل" .. رحماك يا لطيف..

كم أحشى على صديقي المذيع الفذ من الخطر... صديقنا صالح يعيش في غيبوبة منذ أيام.. هل تجرؤ المنية على اختطافه.. منذ يومين علمنا أن حالته ساءت أكثر إذ قيل أن الغاز الخبيث قد نفذ إلى مخه..

العزف الحزين ما زال متواصلا يمزق أعصاب الفتى ويخنق أنفاسه، يضغط على صدره يعصر قلبه بل تحول إلى مطارق تضرب على أم رأسه وما انفك باطنه يدعو: أستر يا ربي، أطف يا لطيف "ثم توقف العزف فتكلم المذيع، ذلك الذي دام يرافق نظيره صالح طيلة سنوات. تلثم في الأول ثم أعلن في هدج: أيها المستمعون الكرام.. نودع صديقنا صالحا الوداع الأخير!"

فقفز مجدي من مجلسه وصرخ: "ماذا قال.. الوداع الأخير.. صالح مات.. آه يا ربي.. آه يا ربي.. لقد خسرنا ذلك الإذاعي المبدع، ذلك الصديق العزيز... إنا لله وإنا إليه راجعون".

ثم جعل ينتفض ويذرع الغرفة من ركن إلى ركن، يختطف الوسائد ويرمي بها، يلطم خديه ويخبط على رجليه، يضرب بكلتا يديه على الحائط، يمزق شعره. ورفع أخيرا يديه ومد كفيه منتحبا: آه يا ربي لماذا يرحل عنا في عز كهولته.. ما أن سلم المسكين من حادث خطير حتى وقع فيما أخطر.. آه من الغاز القاتل".

سمع الوالد صراخ ابنه فهب إليه يستطلع ما حل به. فالفاه في

مظهر مزري: الوجه كحبة طماطم والشعر منفوش والثياب ممزق والدموع تنهمر على الوجنتين.

عجب الوالد من أمر ابنه فمسكه في كتفيه وصاح مستوضحا:

- مالك يا مجدي... ما الذي ألم بك؟

- صالح.. يا أبي.. ذلك الإذاعي الفذ.. مات.. مات

- إنا لله وإنا إليه راجعون... رحمه الله... هون عليك يا بني.. كلّ

نفس ذائقة الموت... عليك بالصبر يا بني... ألم أقل لك منذ يومين

إن حالته باتت خطيرة!

وهتفت الوالدة خلف الوالد في صوت متهدج:

- مجدي معذور.. لقد تعلق بالمرحوم إلى أبعد حد.. تعوّد على

مكالماته فأضحى صديقا له. ثم تقدمت إلى ولدها فجعلت تربت

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

على كتفه مخففة عنه ومهدئة من روعه داعية:

- رحمه الله رحمة واسعة يا بني... عليك بالصبر.. كلنا راحلون يا

بني والخلد لله الواحد الأحد!

استرد الفتى أنفاسه شيئا فشيئا ولما تماسك قليلا ساءل والده:

- متى يا ترى يكون الدفن.. يجب أن أحضر الجنازة.

- سيكون في الغد دون شك... وعلى الأرجح إثر صلاة العصر،

حسب الطقوس.

- وهل يكون الدفن بالزلاج؟

- لا أعتقد يا ولدي.. لن يكون حسب رأيي إلا بموطنه... بحمام
سوسة.

ثم ساد الغرفة صمت ثقيل فيما تمدد مجدي على فراشه ممسكا
بمذياعه الصغير ولبث ذاهلا في وجوم. لكن والده قد دنا منه
وخاطبه في رافة واشفاق:

- انصت لي يا مجدي.. يجب أن تتحلى بالصبر وأن تستسلم لأمر
الله المقضي. استعن بإيمانك بالله وحاول أن تأخذ نصيحتك من النوم
لتستريح ولتجد نفسك نشيطا غدا فتحضر لتوديع الراحل.

ثم عاد الوالد والوالدة إلى غرفتهما لكنهما استيقظا على صوت
ابنهما بغرفته مرددا لجميل متقطعة. فرفعا نظريهما إلى الساعة
الحائطية وإذا بعقريهما تشيران إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل.
وهرعا إلى غرفة ابنهما يستطلعان الأمر فإذا به نائم لكنه يردد
كلمات استطاع الوالدان أن يتبيننا منها: حقبة المفاجآت.. البث
المباشر.. لقاءات عربية.. يوم سعيد.. ساعة للجوائز.. مواجهة أمام
المصدق!

هنالك استعدوا و"حوقلا" في رهبة، مستغربين تلك الظاهرة التي
ندت عن ولدهما ثم أطفالا النور وعادا من جديد إلى غرفتهما.
وعندما استيقظ الوالد على أذان الفجر فوجئ بابنه قد سبقه في
النهوض، على عكس عادته. حتى مجدي والده ثم قال:

- لقد أثيرت الإذاعة عن موكب الجنازة. سيكون الدفن كما تكهنتم، بحمام سوسة إثر صلاة العصر.
- ثم أطرق ينتظر موقف أبيه لكن دون تعقيب منه.
- فأردف معربا في حماس وعزم:
- عليّ أن أذهب .. يجب أن أحضر الجنازة..
- أرجوك يا والدي ألا تحرمي من المشاركة!..
- أتسافر إلى حمام سوسة يا بني؟
- سأذهب إلى مسكنه ثم أرى بكل ودي أن أرافق الجنازة ..
- ربما يقع تسخير حافلات للغرض
- ودراستك .. كيف تنغيب عن المعهد
- ليس علينا فروض هذا اليوم.. سأندارك الحصة فيما بعد...
- أرحمني يا والدي.. فكيف أتغيب عن تشييع جثمان صديق عزيز..
- سبحان الذي عظم مصيبة الموت يا والدي ما قيمة إنسانيّتي
- وشخصيّي إن لن أكن وفيا.. ألم تلقني يا والدي خصال الإخلاص والوفاء..
- قرأ مجدي في عيني والده الشفقة إذ ألقى في سكوته الموافقة، فلملم أشياءه وهب إلى منزل الفقيد.
- إلى روح صالح جفام رحمه الله رحمة واسعة بمناسبة ذكرى وفاته ، إذ توفي مساء الجمعة 22 فيفري 1991 بمركز الإنعاش الطبي بمونفلوري ودفن يوم السبت 23 فيفري 1991 بحمام سوسة.

الملاذ الأخير

قصة : سمية بالرجب

المكان تلفه ظلمة قائمة وكأنه لم يعرف النور يوما ... في الظلمة ...
يقبع شبح وحيد، يضم ركبتيه إلى صدره ويغرق في دوامة من الأفكار
يتبعها بين الحين والحين وابل من الدموع ... انه يبكي ... انه ينتفض
في مكانه كجسد تسكنه الأرواح الشريرة ... فيرسل تنهدات تلو
التنهدات فتحرق أنفاسه بشرة وجهه حين تلفحها حرارتها، انه يلطم
خديه بكلتا يديه ويتلمس وجهه وكأنه يريد انتزاع جلده ...

فجأة ... يعود الشبح إلى الهدوء وكان ما كانت عليه حالته مجرد
تفاعل عابر مع الظلمة التي ملأت المكان ... وكان غيمة سوداء قد
غطت بصره فأعمت بصيرته وذهبت بعقله، ما يعود الشبح الغامض إلى
غيبوبته ويقعد في ركن من أركان الغرفة يائسا وكأنه مسافر مل
الترحال وستم حقيقة السفر ...

فجأة ينهض الشبح ويركض نحو النافذة يريد فتحها ولكنه يعدل
عن ذلك وقد احتواه شعور غريب ... فيقترب ببطء من زجاج النافذة
يريد الاطلاع على ما تخفيه وتعجبه ألواحها المتشقة عنه، فتحرقه مرة
الضوء الخافت فيسير بضع خطوات مبتعدا عن الضوء فيقف في وسط
الغرفة ويصرخ بقوة : " لقد سئمت ... لقد سئمت الظلمة والوحدة
... أنا متعب فهل من مجيب ؟

ثم يصمت الشبح ويختر راکعاً على ركبتيه وقد تراخت أعصابه وأعضاء جسده ... وقد أحسن أن الدماء تغلي في عروقه ولكنه ودون سابق إنذار يلمح طيفاً يحلق في فضاء الغرفة فيخاطبه الطيف وفي صوته لحة حزن .

هل نسيت أمري ؟ هل نسيت من أكون ؟ أنا ذاتك المعذبة التي تبحث عنك دائماً ... أنا الطفل الذي سخر منه الكبار والصغار ... أنا الطفل الذي كان يخاف اللعب ويهرب من الطفولة ... أنا الطفل الذي دفع الثمن غالياً نتيجة وجوده على قيد الحياة فكان وجوده غلطة والديه ورمز عذابه الذي لا يته ... ثم يصمت الطيف ويختفي فيرد الشبح الراكع على الأرض قائلاً في يأس، كنت أكثر الأطفال تعاسة ... كنت وحشاً بشعاً بقامة طفل ... وابتسامة طفل ... وبراعة طفل ... كنت طفلاً لكن الطفولة كانت تتسرب من بين أصابعي كالرمل الناعم، كنت طفلاً كثيراً تنتحر على شفتيه البسمات وتتوه على لسانه العبارات ... لماذا ؟ لم أنعم بطفولتي كغيري من الأطفال ؟ ... كنت مسخاً يخاف منه الجميع وتشمئز من رؤيته كل الأبصار ... لماذا ضاعت مني طفولتي دون أن أشعر ؟ ... لماذا حرمت من ضحكاتي ؟ ... لماذا غادرتني الطفولة ولم تعد ؟ ...

فجأة ... يحلق في فضاء الغرفة المظلمة طيف آخر ويخاطبه في يأس مميت، وأنا ... ؟ هل نسيتني ؟ ... هل نسيت معاناتي ؟ ... لماذا لم تعد بك ذاكرتك إلى حيث أقبع منذ سنين خلت ؟ ... لماذا لم تذكرني وأنا

ذاك المراهق الذي اسلم نفسه للعذاب منذ البدء وترك أيدي الزمن تلهو به في كل صوب وتتلاعب بمهجته وفؤاده ...

أنا المراهق الذي زاد تعاسة حين رأى الشعر ينبت في وجهه وينتشر في جميع أنحاء جسده المنهك وشهد الحشونة تتسلل إلى صوته، أنا المراهق الذي احب في صمت وظل يطرد مشاعر الحب والعشق من قلبه الباكى كي لا يشعر بمحوان نفسه وضعفه فظل يعيش في الظلمة بعيدا عن جنة النور التي كانت تسكنها حبيبته الفاتنة وتملؤها بشعاع جمالها ودفء مشاعرها وجسدها ... أنا ذاك المراهق الذي كانت تختبئ منه الفتيات وتحتقره كل أنثى على وجه الأرض.

ثم صمت الطيف المراهق وغاب في قتامة المكان فصرخ به الشبح الحزين قائلا : " ارحل هكذا ارحل ... لماذا تزيد من عذاب روحي، فقد مللت الظلمة ... لقد ملكت المكان والزمان ... وقد سمعت من قتامة شعوري وأحقاد نفسي ... فلماذا عدت لتزيد من آلامي ... أنا أنت ... وأنت أنا ... وكلانا واحد ... أنا وأنت ذاك المراهق الذي لم يعرف حلاوة العشق ولا مرارته إلا من خلال نظرات بائسة لابنة الجحير ... أنا ذاك المراهق الذي كان يهرب من المرأة مخافة أن يرى نفسه ويلمح انعكاس صورته البشعة على وجهها. أنا ذاك المراهق الذي غادره الماضي وفتك به الحاضر وودعه المستقبل ... أنا ذاك المراهق الذي اغتالته الأيام وهو لا يزال يحلم بتذوق طعم مراهقته ففشل وخابت آماله ... فانطوت صفحات المراهقة من حياته إلى غير رجعة.

فتكسر عوده الأخضر واصفرت أوراقه وتساقطت وهو لا يزال في
مقتبل الربيع. فصارت أيامه فراغا لا يحتمل يملأ ثغراته بدموع الخوف
والحرمان ...

ثم صمت الشيخ الغامض وقد أحسّ بمرارة فظيعة في حلته فجلس
القرفصاء ووضع وجهه في بطون يديه وغاب في بحور من الذكريات.
ولكن غيبوته لم تكن تحجب الواقع عنه. فالألم الذي يحيا بداخله هو
ألم الماضي الحزين وهو جراح السنوات الخالية التي لم تندمل حتى يمرور
الزمن لأنها كانت جراحا عميقة مليئة بأشواك اليأس والعذاب، جراح لم
تستطع السنون محوها لأنها كانت جروحا ظاهرة تقرحها رياح التشاؤم
والحزن، وتعفن جنبياها وساحة الحقيقة ومرارة الحياة وقسوة الزمن ...
بينما كان الشيخ في غيبوته وذكرياته إذ طلع عليه طيف ثالث
وبادره بالقول وقد التهمت صوته حشرة اليكأ، لماذا تغرق في
الأفكار وتتركني ... ؟ لماذا تسافر مع أحلامك الواهية وتنسى أنني جزء
من ماضيك وحاضرك وغدك ... ألا تذكرني ؟ لا بل أنت تذكرني
جيذا... كيف لا والحال أنني ذلك الشاب الذي لم يعرف في حياته
سوى غروب للمتعة والحب وخريفا اصفر اللون يغطي الحياة ويحجب
جمالها وحببية مجهولة تعيش في المخيلة كسراب يتداعى أمام عتبات
الحقيقة ...

أنا هو ذاك الشاب الذي أمضى الشباب سجين غرفة بائسة تلفها
الظلمة ويكتنفها الصمت وتطير في فضائها الضيق أشباح الأيام والليالي

... غرفة تعيش في ليل متواصل لا يعرف النور إلى أركانها سبيلا، شاب
تخطّمه الهموم وتغتاله الأحزان في كلّ حين وتملأ صدره مرارة القهر
والحسرة ... شاب ينام ويستيقظ على صور بائسة من الماضي وكان
المستقبل والحاضر قد غادرا فكره إلى الأبد ... حين تملأ صدره مرارة
القهر والحسرة ... شاب ينام ويستيقظ على صور بائسة من الماضي
وكان المستقبل والحاضر قد غادرا فكره إلى الأبد ... فرفع الشبح
الغريب رأسه وقال وفي صوته لهجة ساحرة : هيا ... اغرب عن وجهي
... أنا أعيش الآن مع أحلامي فلا تزعجني .. لست بحاجة إليك ...
لقد كنت شابا تعيشا ولكنني لم أسع إلى التعاسة بل كانت التعاسة
قدرتي منذ الولادة ... فلماذا تذكرني بشبابي الضائع، ولماذا تصر على
إعادتي إلى ذلك الماضي الذي لا يزال شبحه يلاحقني بصورة شاب تائه
في مفترق الطرق ... شاب يبحث عن جمال جسده واستقامة قامته
ولكنه لا يجد بين السبل شيئا سوى صورة بشعة تنعكس على صفحة
الماء النقية لنهر الآلام والأحزان .. كنت شابا ناضجا يعتصر من الألم
والقهر .. شاب تغتاله شهواته كل يوم وتحرقه رغبته العطشى وتقتله
أحاسيسه المتوهجة شوقا إلى جسد جميل ... جسد تملأ حناياه فتنة
الأنوثة ... يرغمي بين أحضانه. ولكن تلك الشهوات وتلك الرغبة
القاتلة كانت تكبحها بشاعة ذلك الجسم الذي احتوى روحي والذي
كانت عيناى تشتعلان دمعا وقهرا كلما رأيته وتحسست تضاريسه
القيحية ... فقلبي أيها الطيف الظالم هل اكشف للكون عن ما ابتليت

به أم اسكت وأحيا كما أنا في ظلمي وحيدا وغيبا عن الوجود فلا أرى جسدي ولا يراني الناس ؟ ... فلا اتعذب ولاهم يشزرون ؟

تساءل الشبح وهو يدري أن ما قاله كان مجرد كلمات عابرة لا تلبث أن تسير أدراج الرياح فلا يسمع لها صدى خارج تلك الغرفة المظلمة، وأن ذلك الطيف كان مجرد سراب استغفزه فأخرج هو بدوره شحنة الألم والعذاب التي ملأت صدره ...

وغرق الشبح المبهم في الصمت ... ثم ما لبث أن مدّ ذراعيه في الظلمة وكأنه يبحث عن ذاته النائية في قتامة المساحة الضيقة فما لبث أن أحس بوقع خطوات تقترب منه ثم سمع صوتا يقول : " أتبحث عني وأنا عذابك الحاضر ؟ ... لماذا تريد أن تحترق معي في جحيم من الأسى والجنون ؟ ... تريدني ولا تريدني ... روحك تطلبني وجسدك يمتنني ... فؤادك وعاطفتك تقربني وعقلك يبعدني ...

أنا الكهل الذي شارف على النهاية، الكهل الذي قتل في نفسه الرغبة والأمل ... وكتب على جبينه اليأس والكدر ... وارتسمت في مقتلته ومهجته وحده قاتلة يعيشها منذ دهور ... أجل ... دهور طويلة من الكبت و تشمئز منه ومن هذه الصورة البشعة التي خنقتني منذ نعومة الأظافر ؟ ... فقلبي لماذا تريد أن تعيش الحاضر دون أن تلتفت إلى الماضي أو تمد بصرك إلى المستقبل ... ؟

فردّ الشبح اليأس في لهجة المتوسل على أسئلة الطيف الكثيرة قائلا : " اقترب مني أيها الطيف فأنتي بحاجة لك ... أرجوك اقترب مني فأنا لا

أجد الراحة إلا بقربك ... أريد أن أنصهر معك في عذاب نفسي الحاضر دون أن أغرق في الذكريات ... إنني أريد أن أهرب من الماضي فساعدني .. مدّ يدك لي وعانقني ودعني احترق معك كالشموع في 'زمرة آلامي ... أنا الآن كهل تمتد قدماه إلى الشيوخوخة وكأني أتسلل من دائرة ظلام إلى ظلام اعتم منها فساعدني كي أبقى في فضاء كهولتي ودائرة الظلام التي أعيش فيها في حاضري... لماذا لا تقترب مني ؟ تعال ارحمني في أحضاني ودعني أحياء نشوة العذاب الممتلئة بالكدر ... " ظل الشيخ الكسير ينادي الطيف ولكن هذا الأخير ظل صامتا ثم هم بالانصراف فناداه الشيخ في يأس، إلى أين تمضي ؟ .. إلى أين تذهب بعيدا عني ؟ ... آه .. فهمت .. أنت لا تريد مساعدتي ولا تريد التسلل إلى نفسي ... فلماذا أتيت إذا؟ "

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

- لقد أتيت لأخبرك أنك قد أخطأت خطأ فادحا حين سحنت نفسك في الظلمة ... لقد أتيت لأفتح عينيك على الحقيقة وانزع الغمامة السوداء عن ناظريك.

- لا ... لا أريد ... لا أريد ... هيا ارحل فأنت أيضا قد أصبحت ذكرى بائسة من الماضي ... أنت الآن مجرد وهم بالنسبة لي فارحل ولا تعد ثانية.

- إذا ماذا تريد بحق السماء ؟

- ماذا أريد ؟ ... أتعرف ماذا أريد ؟ ... تخالجي الآن رغبة شديدة بالموت ... رغبة قوية تملأ نفسي وتحرني على الانتحار وصوت خبيث

يدوي في رأسي ويبحثني على الرحيل من الحياة بسرعة ... سألهي حياتي
بيدي ولن استمر بالعيش هكذا مع الظلمة إلى الابد.

- أنت تهذي ... لا ... لا تفعل أيها المجنون ...

- اغرب عن وجهي فلا سلطة لك علي بعد أن فارقت تفكيري
وعاطفتي ... أنا الآن لست سوى نكرة ... حشرة قدرة تعيش على
هامش الحياة لذا فأنا استحق الموت ...

" ثم استلّ الشيخ الغامض سكيناً من جيبه ووضعها في مكان قلبه
وهو يسمع صوت الطيف المخدر يتلاشى شيئاً، فشيئاً ويرى صورته
تضمحلّ ببطء كالدخان فهمّ بغرس السكين في صدره ولكنه فجأة رأى
طيفين قادمين من غياهب النسيان يقتحمان خلوته ويشدان اهتمامه
دون علم منه. فصرخ بهما في غضب قد اهتزج بلمحة انكسار ملأت
صوته: والدي؟ ... يا الذي أتى بكما ؟ ... هيا ارحلا ... ارحلا، فما
عاد لكما مكان في حياتي، لقد محوتكما من ذاكرتي ووجداني ... "

فرد الطيفان في صوت واحد ملأته نبرة حزينة، لماذا تطردنا ؟ ...
لماذا تطلب منا الرحيل ونحن سبب وجودك بعد الخالق ؟ "

- أنتما سبب وجودي ... اجل ... سبب وجودي بعد الخالق
وسبب مأساتي وحرمانني أيضاً ... مأساتي التي قدّرها علي الخالق.

- عد إلى صوابك ... كفاك كفراً بما منحك الله وصوّر فيك.

- أنا كافر ؟ ... هل تريان الكفر في روحي ؟ ... هل أنا كافر إذ

يحت بآلامي وشكوت للظلمة حالي وعبت على الزمن غدره بي ؟.

- بل أنت كذلك لأنك تمردت على خلق الله الكامن في جسدك .. أنت كافر بخلق الله الذي سواك وبثّ فيك الحياة.

- انظرا إليّ ... أنا مسخ بشع ... أنا وحش مرعب، أنا صورة قبيحة يشمئز منها الصغار والكبار ... انظرا إليّ جيذا لتعرفا ماذا أعطت علاقتهما الحميمة ... لقد تزوجتما في سن مبكرة و كنتما من عائلتين تجمع بينهما صلة الدم والزواج منذ سنين عديدة فلهت الوراثة بأبناء العائلة كما شاءت، وأخيرا كنت أنا الورث الأخير لبشاعة وعيوب العائلتين ... انظرا إليّ ... أنا ثمرة زواجكما البغيض، طفل مشوه ... قبيح تملأ جسده العيوب ... طفل حرم من اللعب والركض في الشوارع ومراهق لم يذق للمراهقة طعما وشاب ناضج لم يعرف للزواج سيلا والآن كهل وحيد، يائس لا ولد له ولا تلد ... أنا ثمرة زواجكما ... أنا ثمرة عفة كان يجب أن تداس قبل أن يحين قطافها ... أنا إنسان محطّم يعيش الوحدة ويقع في ظلام الحياة مع عطش مضمّن للخروج إلى النور ... سأقتل نفسي وأهني حياتي فأرتاح وترتاحان.

ظل الشبح المسكين يصرخ في يأس ولكنه حين أفاق من نوبة غضبه لم يجد طيفي والديه فأحس بقشعريرة تغزو جسده فما لبث أن سمع صوتا من المجهول يخترق عباب نفس. صوت رقيق ... عظيم يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

"وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرّ لكم"

صدق الله العظيم

لقد أثرت تلك الآية في نفس اليائس فألقى بسكينه على الأرض ومشى بضع خطوات في الغرفة ثم أحاط بذراعيه وقال : " أنا يائس بل أنا خائف من ظلمة المجهول ... لم أعد احتمل القنامة التي تكتسح جوارحي وتدمر روحي ... أريد أن أخرج من الظلمة ولكن الظلمة تسجنني. الظلمة تأسرني في سراديب النسيان، أنا أرتجف ... الرطوبة تنهش جسدي القبيح وتلتهم دفء مهجتي وتقتلني ... أنا ... أنا أسقط، أنا أسقط واسقط ... أنا أسقط في الهاوية ... أسقط واسقط والسقوط لا ينتهي ... أنا أموت من الخوف " أنا أموت من اليأس ... أنا أموت من الوحدة ... أنا أغرق في الظلام ... في الظلام ... في الظلام ... "

فجأة، تشتعل شموع قرب المرأة، فيكتسح النور الغرفة المظلمة فيحرق النور عيني الشبح البائس فيلتفت إلى مصدر النور فإذا بصورته تنعكس على المرأة في زمن النور الوهاج فيلمح نفسه ... انه رجل قصير القامة، منحرف الملامح والوجه، تعلو ظهره حذبتان بحجم اليقطين ... ذو عينين بشعتين إحداهما متسعة جدا تكاد الحدقة التي تتوسطها تقفز من محجرها والأخرى غائرة يغطيها حاجب كثيف لا تكاد ترى من تحته ... وأنف كبير تملأ التنوعات حناياه وفم واسع، مائل ذو شفة سفلية متدللية وشعر أشيب متساقط وهامة قبيحة ...

هذه المرة الأولى التي يرى فيها الرجل الشبح صورته في المرأة بعد أن

أسر نفسه في سجون الظلام منذ عقود من السنوات ...

لقد صدم الشبح لرؤية نفسه في المرآة كان انعكاس صورته على واجهتها انعكاسا جذاً بشع جعل الرجل الشبح يخرّ راکعاً على ركبتيه ويصرخ بكل ما أوتي من القوة : " لا... لا ... لا أريد الخروج إلى النور ... الظلمة هي عالمي... الظلمة أفضل من النور لقد فضح النور بشاعتي وكشف عيوبي وأراني قبحي وبشاعة جسدي. "

ثم هوى الرجل الشبح على المرآة يقبضته فكسرها وألقى بالشموع فبعثرها في أرجاء الغرفة ثم أغمض عينيه واستسلم للأفكار. فأخذت الوسواس تتقاذفه وكأنه قطعة خشب تتلاطمها الأمواج في عرض البحر الهائج ... وغاص الرجل المشوه في الصمت فسمع صوتاً يقول : " لقد خسرت الدنيا لأنك لم تر سوى بشاعة جسدي فأهملت روحك مهانت عليك الحياة بما فيها. فلا تحسّر الحياة الآخرة بفطرتك وتكبرك على ما خلقه الله فيك حتى ولو كان بشعاً ... قبيحاً ... أنت خليفة من خلّاق الرحمان وخلف البشر وضحية نفسك الأمانة بالسوء ... أنت لم تقبل بحقيقة جسدي فزاد هذا الجسد بشاعة على بشاعة ... أنت لم تقبل بوضعك فكيف تخليت للحظة أنك سوف تلقى قبولاً من الناس ... يا لك من أحمق ... لماذا لا تتقبل نفسك كما هي فتتبع بصفاء ذهنك وتحمّد نيران عذابك وقهرك ؟ ... تقبل حقيقتك بكل ما تحمله من بشاعة ووحشية والا فسوف تندم كثيراً ولن يفيدك الندم ... "

فصرخ الرجل المشوه بالصوت الناصح قائلاً : "لقد سمعت لصوتك

أيها الضمير كثيرا فغصت في الظلمة أكثر فأكثر ... فلم يخلصني صوتك البائس من عذابي بل اقتادني إلى بحور العذاب لأتجرّع منها فلا أرتوي ... ذقت اليأس والألم بما يكفي فهل كان لصوتك المقيت نفع أو مفاد؟ ...

لن أسمعك بعد اليوم فأنت دمرت في نفسي آمالا كثيرة... لن يكون لصوتك في قلبي اثر بعد اليوم ... لأنني سأغير ملامح القدر وأحمي كل العوائق التي ستحرمني من الراحة سوف ابحت عن الراحة والعزاء بنفسي ولن أصغي إلى صوتك بعد الآن لأنني سئمت الحياة بعذاباتها وآلامها ... لن أنتظر أكثر ... سأهني حياتي بيدي ... سوف يكون الموت الحل الوحيد الذي سوف يخلصني من يأسى وقهري ... أجل... الموت الملاذ الأخير والعزاء الأوحيد لروحي المعذبة المكتوبة بلهيب المآسي والجراح ... لن اسمح باستمرار هذا العذاب طويلا ... " <http://Archivebeta.Sakhril.com> ثم تناول الرجل الأحذب قطعة بلور مكسور من المرأة وضعه على رقبته المنحنية، فسمع صوتا يقول في يأس وحزن، لا تفعل ... ستندم ... الموت ليس الملاذ الأخير لك، بل هو الجحيم الذي سوف يعذب روحك وجسدك إلى الأبد.

ظل صوت الضمير يدوي في اذني الرجل المشوه ولكن هذا الأخير لم يهتم بصوت ضميره البائس فتجاهله وأسلم نفسه إلى رغبته القاتلة بالانتحار وطلق يضحك مطلقا قهقهات ساحرة تصدعت لها جدران الغرفة المظلمة، ثم قال في لهجة عابثة تنم عن السخرية، الوداع أيها

الظلمة الجميلة ... وداعا يا مقبرتي في الدنيا البائسة، وداعا أيها الخوف
المظلم ... وداعا ... وداعا. "

ثم اغمد الأحذب قطعة الزجاج الحادة في رقبته فسقط جسده
المشوه على الأرضية جثة هامدة غادرها الحياة. وسالت دماؤه القائمة
اللون في كل مكان في تلك الغرفة المظلمة الضيقة.

فتحقق للرجل المشوه أمنيته الأخيرة بعد أن اختار الانتحار ملاذا
أخيرا تنتهي به عذبات الدنيا التي عاش في كنفها أعواما طويلة في مزيج
من مشاعر الحقد واليأس والألم والقهر، وتبدأ به عذبات أخرى لا
يعلمها إلا الخالق سبحانه وتعالى في العالم الآخر ...

